الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر تخصص علوم اللّغة العربية

الدّرس الصّوتي عند ابن جنّي

الخصائص (نموذجا)

إعداد الطالبة:

- سهام هاشمي

لجنة المناقشة

الدكتور : نور الدّين قدّوسي	رئيسا
الدكتورة: وهيبة بن حدّو	ممتحنا
الدكتورة: لطيفة عبّو	مشرفا (مقررا)

العام الجامعي: 2015/2014م-1437/1436هـ

شكر وتقدير

نحمد الله سبحانه وتعالى حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ونصلّي ونسلّم على أشرف خلق الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم.

"رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"

ومن باب لم يشكر الناس لم يشكر الله

نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتنا المشرفة عبّو لطيفة على قبولها الإشراف على هذا البحث ، ثمّ على ما قدّمته لنا من دعم ومساعدة وتوجيه وإرشاد.

كما لا يفوتنا أن نتقدّم بوافر الشكر والتقدير إلى جميع أساتذتنا في شعبة علوم اللغة العربية

وتحيّة خالصة إلى جميع المعلّمين والأساتذة الأفاضل الذين قدّر الله أن كانوا سبب تعلّمنا ونجاحنا ووصولنا إلى ما نحن فيه

وإلى جميع أصدقائنا وزملائنا في شعبة علوم اللغة العربية دفعة 2015/2014

كما نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى كل موظّفي مكتبة الأدب العربي والمكتبة المركزية.

وإلى كل من ساعدنا ي إنجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد.

سهـام

إهـــــداء

إلى حبيب قلبي وحمى روحي وأنيس فؤادي وغوتي من الكرب .

إلى من في قلبي حبّه والإيمان به ... بكلّ الشوق في قلبي أهدي لك هذا العمل يا ربّي.

إلى صاحب المجد الأطهر والوجه الأقمر والجبين الأزهر...

إلى نور الأبصار وضيائها وحبيب القلوب ودوائها إليك يا حبيبي رسول الله – عليك أفضل وأزكى التّسليم –.

إلى واحة أحلامي وسراج حياتي ... إلى نبع الحنان الصافي والصدر الحنون الدّافئ إليكِ أمّي الغالية.

إلى تاج رأسي وفخري وذخري وعوني في هذه الحياة إلى من يتعب لنرتاح ويشقى لنسعد ... إلى أبي العزيز .

إلى أحبّاء قلبي وأشقّاء روحي إلى أخواتي كل واحدة باسمها : كريمة وجميلة.

إلى من كان سندا وعونا لي إلى خطيبي محمّد.

إلى جميع صديقاتي وخاصّة خيرة التي كانت رفيقة دربي في إنجاز هذا العمل.

إلى كل الأساتذة الذين سهروا على تعليمي من الابتدائي حتّى الجامعة.

إلى كل من جمعني معهم المشوار الدراسي من بدايته إلى اليوم.

سـهـام

الحمد لله ، نحمده و نستغفره و نستعينه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالِنا من يهدِه الله فلا مُضلّ له ، و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمّدا عبده و رسوله أفصح من نطق بالضاد وعلى أله وصحبه اللّذين فتحوا البلاد ،ونشروا لغة القرآن وعلّموها للعباد ، أما بعد:

فإن اللّغة العربية من أشرف اللّغات وأنبلِها ، بها نزل القرآن العظيم ، كلام المولى عز وجلّ على رسوله الكريم محمّد - صلى الله عليه وسلّم - العربي الأميّ ، المبعوث للناس أجمعين العرب منهم والعجم فـالتقي بذلك العربي والأعجمي لحفظ هذا الكتاب العظيم وتلاوة آياته الكريمة فاختلطت الألسن وظهر اللّحن، فقام الغيورين على لغة التنزيل بوضع ضوابط تحمي وتحفظ ه ذه اللّغة الشريفة من الزيغ والزلل .

و بذلك نشأت الدراسات اللغوية القديمة، و توالت الجهود التي تدرس و تُعن ى باللغة العربية ، و لقد ألمّت الدّراسات اللّغوية القديمة بجلّ جوانب اللّغة و مستوياتها الصوتية و الصرفية و النحوية و الدّلالية.

و قد كانت لنا في هذه الدّراسة وقفة عند المستوى الصّوتي، هذا المستوى الذّي تقوم عليه دراسة كلّ لغة و من بينها اللّغة العربية.

و قد شهدت دراسة اللغة من هذا الجانب تطورا مدهشا أدّى إلى ظهور علم كامل المعالم و الصفات ، يدرس الصوت اللّغوي من كل جوانبه ، و هو علم الأصوات .

وكان من بين علماء العرب القدماء ممّن اهتموا بدراسة اللغة من جانب الأصوات فيلسوف العربية **أبو الفتح عثمان بن جني**.

و يعد ابن جني أول من خصص للدراسة الصوتية مؤلَّفا مستقلا بعد أن كانت القضايا الصوتية تُدرّس مختلطة بغيرها من القضايا اللغوية ، كما يعد أيضا أول من أطلق على هذه الدراسة اسم علم الأصوات ،كما أنه سن العديد من المصطلحات الصوتية و درس الأصوات و حدد مخارجها و صفاتها .

و من المعروف الآن أنّ علم الأصوات يدرس الصوت اللّغوي وفق محورين اثنين هما:

- محور الوصف و التحديد (Phonétics): و مجاله علم الأصوات العام.
- محور الوظيفة (Phonology) : و مجاله علم الأصوات التركيبي أو الوظيفي .

فإذا كان ابن جني قد وصف الأصوات العربية وحدّد مخارجها وصفاتها ، فأدرجت جهوده ضمن ما يسمى الآن بعلم الأصوات العام ، بل أنه عُدّ رائدا في ه ذا المجال ، ألا يمكن أن يكون ه ذا العالم الفذّ قد تناول شيئا في جانب المحور الثاني محور الوظيفة ؟ وهو الذي توصل إلى كل هذه الدقة العلمية في علم الأصوات العام ، على الرغم من غياب الآلات و الوسائل المساعدة على ذلك، ألا يمكن أن يكون له ما يذكر في مجال علم الأصوات الوظيفي؟

وإذا كان الجواب ب: لا ، فماهي القضايا التي تحدث عنها ابن جني والتي يمكننا إدراجها ضمن محاور علم الأصوات الوظيفي؟

وكيف تناولها بالدراسة ؛ هل بالتصريح أو بالإشارة إليها ؟ ثم ماذا كان يصطلح عليها أو كيف كان يسميها ؟

كل ه ذه الأسئلة وغيرها اخترناها لتكون الإشكالية التي يدور عليها محور البحث، تحت عنوان: **"الدرس الصوتي عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص."**

وتكمن أهمية البحث وأهدافه في عدة نقاط منها:

- بيان أهمية التفكير الصوتي ونضجه عند العلماء العرب القدماء عموما ، وعند ابن جني خصوصا.
- بيان أهمية كتاب الخصائص في الدراسة الصوتية.
- التأكيد على أن مستويات اللّغة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي مترابطة مع بعضها البعض، والفصل بينها يكون لتسهيل الدّراسة فقط.

أما عن **الدراسات السابقة** التي تناولت الفكر الصوتي عند ابن جني فهي كثيرة نذكر منها:

- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني لحسام سعيد النعيمي.

من الملاحظ أن هذه الدراسات كانت كغيرها من الدراسات التي تناولت الفكر الصوتي عند ابن جني ، فقد ركزت على جهود ابن جني في المجال الآخر، وهو مجال الأصوات الوظيفي.

وقد قسّمنا بحثنا هذا إلى تمهيد، فصلين و خاتمة.

فالتمهيد أردناه أن يكون مدخلا عاما لموضوع الصوتيات، تناولنا فيه وجود العلماء القدماء في مجال علم الأصوات، ثم عرّفنا بعلم الأصوات العام وعلم الأصوات الوظيفي وقضايا كل علم.

أما **الفصل الأول** فجعلناه بعنوان: نظرية الصوت والمقطع عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص وتضمن أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأول نبذة عن حياة ابن جني تطرقنا فيها إلى نسبه ومولده وصفاته وأولاده ، ثم شيوخه وتلامذته ، ثم مكانته العلمية ثّم مؤلفاته وأخيرا وفاته ، وفي المبحث الثالث فتحد ثنا فيه عن نظرية الفونيم ، فتطرقنا إلى مفهومه وأنواعه ، والفرق بينه وبين الألوفون ، وبين الصوت والحرف ، ثّم بحثنا عنه عند ابن جنّى ، وفي المبحث الرابع تناولنا المقطع عند ابن جنّي فتطرقنا إلى مفهومه ومكوناته وأنواعه ، وخصائص النظام المقطعي العربي، وماذا قال عنه ابن جنّي.

أما **الفصل الثاني** فقد خصّصناه لبعض ال ظواهر الصوتية عند ابن جنّي من خلال كتابه الخصائص ، فالمبحث الأول كان خاصا بالمظاهر الّسياقية وذكرنا منها النبر بمفهومه ودرجاته ووظائفه ورأي ابن جنّى بخصوصه ، تم التنغيم بمفهومه ودرجاته ووظائفه ، وهل كان ابن جنّي يفقه النبر والتنغيم ، ذاكرين أم ثله و آراء من كتابه الخصائص ، أما المبحث الثاني فأردناه أن يكون بعنوان المماثلة والمخالفة عند ابن جنّي ، التي تطرقنا إلى مفهومهما وأنواعهما ثم بحثنا عنهما في دراسات أبن جنّي ، أمّا المبحث الثالث فتطرقنا فيه إلى موضوع القلب المكاني والتوافق الحركي وهما أيضا نالا قسطا من التعريف بهما و البحث عنهما في فكر ابن جنّي وفي كتابه الخصائص خاصة ، وفي المبحث الرابع والأخير تحدّثنا فيه عن ظاهرة الإدغام عند ابن جنّي ذاكرين مفهومه وأراء ابن جنّي حوله.

أما **الخاتمة** فقد تضمّنت مجموعة من النتائج المتوصل إليها خلال ه ذه الدراسة.

هذا فيما يتعلق بخطة البحث , أما عن المنهج المتبع فقد اخترنا له ذه الدراسة **المنهج الوصفي التحليلي** الذي ساعدنا على وصف الظواهر والقضايا الصوتية التي أوّلناها من خلال الدّرس الصوتي الحديث ، ثم مقابلة هذا الوصف بما جاء به ابن جنّي بعد استخراجه ووصفه وتحليله .

وعن أهّم **المصادر والمراجع** المعتمدة في هذا البحث ، بالإضافة إلى كتاب الخصائص هناك العديد من المصادر والمراجع التي تّم الرجوع إليها ، والتي يمكننا تقسيمها إلى قسمين هما:

مصادر ومراجع خاصة بقضايا الصوتيات: ومن أهمها :

علم الأصوات كمال بشر، ودراسة الصوت اللّغوي لـ : أحمد مختار عمر، والأصوات اللّغوية لإبراهيم أنيس.....

مصادر ومراجع خاصة بالسير والتراجم : ومن بينها : نزهة الألباب لابن الأنباري ، وبغية الوعاة لـ:السيوطي , ووفيات الأعيان لـ: ابن خلكان ، معجم الأدباء لـ: ياقوت الحموي،.....

وقد واجهتنا في إنجاز ه ذا البحث بعض **الصّعوبات** تكاد كلها ضمن الظروف المحيطة وذلك راجع لاتّساع الموضوع ، ولعلّنا تمكنّا بفضل اللّه وقوته أن نكون قد أحطنا بجانب من جوانب الصوتيات عند ابن جنّي ، فللّه الحمد والشكر إلى ما وصلنا إليه اليوم.

ومن فضل الله علينا أيضا، أن هيأ لنا مشرفا كريما فاضلا وهي الأستاذة الدكتورة : **عبّو لطيفة** ، التي وجّهتنا وتابعت وقومت البحث ، جعل اللّه عملها هذا في ميزان حسناتها ، ووفقها إلى ما تحبه وترضاه .

ونسأل اللّه التوفيق والسّداد والحمد للّه رب العالمين.

هاشمي سهام

تلمسان في:2015/05/28م

المبحث الأوّل: ترجمة حياة ابن جنى.

أولا:نسبه، ومولده، و صفاته، و أولاده:

هوأبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي الشهير بابن جنّي، بكسر الجيم وتشديد النون وبعدها ياء مشدّدة عالم نحوي ذو شأن كبير، وصاحب تصانيف مشهورة ومفيدة كان أبوه "جنّي" مملوكا روميا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي [1]، ولذلك ينتسب ابن جنّي أزديًا بالولاء، ولا يعرف عنأبيه قبل مجيئه الموصل شيء ولا عن نوع عمله عند سليمان بن فهد.

ويرى ابن جني أنّ الله عوّضه عن نسبه علمًا إليه ينسب، وبه يشرف فقال في جملة أبيات:

فَإن أُصْبِحَ بِلاَ نَسَـــبٍ◈فـَعِلْمِـي فِي الوَرَى نَسَبِـــي

عَلَـى أَنِّي أَؤُولُ إِلَـــى◈قـُـرُمٍ سَـادَةٍ نُـجُـــــــــبِ

قـَيَاصِرَةٍ إِذَا نَطَـقـُــوا◈أَرَمَّ الدَّهْرُ ذُو الخُـطـُـــبِ

أولاَكَ دَعَا النَّبِـيُّ لَهُـمْ ◈كَفَى شَرَفًا دُعَاءُ نَـبِـــــي[2]

وكان ابن جني يذكر اسم أبيه "جني" بالرّومية يعني "فاضل" بالعربيّة، وهذا لأنّ كلمة جني تعني في العربيّة: فاضل، كريم، نبيل، جيّد التفكير، عبقري، مخلص.

ولد ابن جني بالموصل وفيها نشأ وتلقى مبادئ التعلم، أمّا عن سنة ولادته فقد تضاربت الآراء حولها، فبعضهم قال: قَبْلَ الثلاثين والثلاثمائة [3]، وبعضهم قال: قبل الثلاثمائة [4]، وبعضهم لم

---

[1] - يشير محقق كتاب الخصائص: محمّد علي النّجار، إلا أنّ المراجع لم تفصح عن أمره، ولا عن مكانته في الموصل. يراجع: مقدّمة الخصائص، دار الكتب المصرية، مصر، دط، 1376هـ/1957م، ج1/ ص5.

[2] - مقدّمة تحقيق الخصائص، محمّد علي النجار، ص8.

[3] - الفهرست، ابن النّديم، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1422هـ/2002م، ص138، معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج 4/ص1585، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، دط، دت مج '/ص246، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة السيوطي، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت لبنان،ط1399،2هـ/1979م، ج2/ص132.

[4] - شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تع: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت لبنان، ط 1، 1406هـ/1986م، مج 4/ص494. وتاريخ الأدب العربي، كادل بروكلمان، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة مصر، ط4، دت، ج2/ص244.

يذكرها أصلا، وهذا اعتمادا على أنّ ابن جني توفّي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وكان عمره آنذاك سبعين سنة.

ومن صفاته أيضا، أنّه كان يميل بشفتيه ويشير بيده ليؤكّد المعنى ويوضّحه، وأنّه كان في لسانه لكنة، فقد جاء في معجم الأدباء "أنّ أبا الحسين القمي حفيد أبي إسحاق القمي صاحب ديوان صمصام الدّولة لقي ابن جني مرّة في الدّيوان فجعل يتحدّث تارة عن أبي الحسين وتارة مع جدّه أبي إسحاق وكان لابن جني عادة في حديثه بأن يميل شفته ويشير بيده، فبقي أبو الحسن شاخصا ببصره يتعجّب منه، فقال له ابن جني: مالك يا أبا الحسين تحدق النّظر إليَّ وتكثر التعجب مني؟ قال: شيء طريف. قال: ما هو؟ قال: شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدّث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم عند صعودي إلى المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل الشيخ[1].

فامتعض أبو الفتح وقال "ما هذا القول يا أبا الحسين أعزّك الله ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي؟ فلمّا رآه أبو الحسين قد حرد و استشاط وغضب قال: المعذرة أيّها الشيخ إليك وإلى الله تعالىعن أن أشبهك بالقرد وإنّما شبهت القرد بك، فضحك أبو الفتح وقال: ما أحسن ما اعتذرت، وعلم أبو الفتح أنّها ناذرة تشيع فكان يتحدّث بها هو دائمًا "[2].

وهذه النّاذرة التّي يرويها ياقوت تصور لنا جدّية ابن جنّي في أموره وبُعده عن المجون.
ومن خِلاَل ابن جنّي البارزة: الأمانة والوفاء فقد كان أمينا في التّحديث عن شيوخه، دقيقا في النّقل عنهم فهو يذكر الأبواب والفصول الّتي قرأها على شيخه أبي علي الفارسي أو على غيره[3].

ثانيا: شيوخـــــــه.

إذا تصفّحت كتب ابن جني فلاشكّ في أنّك ستلقى رجلاً عميق الثقافة واسع الإطلاع غزير العلم، جمّ المعرفة، كَتب في النّحو والتّصريف ودرس الأصوات والحروف دراسة عميقة متقنة وألّف كتبًا أبرّ بها على المتقدّمين وأعجز بها المتأخّرين، لقي رجالاً كثيرين أخذ عنهم وقرأ عليهم وذكرهم في كتبه واستفاد منهم، فقد تلقّى ابن جنّي مبادئ العلوم بالموصل. فأخذ النّحو عن أحمد بن

[1] - معجم الأدباء ياقوت الحموي، ج5 ص16-17.
[2] - المرجع السابق،ج5،ص17.
[3] - ابن جنّي النّحوي، د.فاضل صالح السّامراني، دار النذير، 1389هـ/1969م، ص26-27.

محمّد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش[1]، وقرأ الأدب على يد أبي علي الفارسي(ت 377هـ)[2] كما أخذ عن كثير من رواة الأدب واللّغة ومن هؤلاء أبو بكر بن محمّد بن حسن المعروف بابن مقسم، وكان من القراء يروي لثعلب (ت 291هـ)، ويروي عن أبي الفرج الأصفهاني (ت 356هـ)، كما كان يروي عن أبي بكر محمّد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني (ت250هـ أو 255هـ)، وممّن يروي عنه أيضا محمّد بنسلمة عن أبي العبّاس المبرد (ت 285هـ)، وكذا عبد الله الشّجري من الأعراب الفصحاء الّذين لم تفسد لغتهم[3].

وكان لابن جنّي علاقة بأبي الطّيب المتنبي [4].فقد صحبه دهرًا طويلاً وقرأ عليه ديوانه وشرحه ونبّه على معانيه وإعرابه.

وكان المتنبي يحترم ابن جنّي ويجله ويقول فيه "هذا رجل لا يعرف قدره كثيرًامن النّاس" [5]، ويقول أيضا: "ابن جنّي أعرف بشعري مني" [6].وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النّحو والتّصريف في شعره يقول: "سلوا صاحبنا أبا الفتح"[7].

ثالثا: تلامذته.

لمّا مات أبو علي الفارسي خلفه ابن جنّي وتصدر مجلسه ببغداد ودرّس فيها النّحو، فاجتمع النّاس حوله لينتفعوا بعلمه ويتخرّجوا على يديه، فخلّف علماء أجلّاء ومن أشهرهم نذكر:[8]

[1] - هو أحمد بن محمّد أبو العبّاس الموصلي النّحوي كان إمامًا في النّحو، فقيهًا فاضلاً، عارفا بمذهب الشافعي، أقام ببغداد. يراجع: بغية الوعاة، السّيوطي، ج3/ص389.

[2] - هو أبو علي الحسن بن أحمد، نشأ بفسا من بلاد فارس، ثمّ ورد بغداد فأخذ النّحو عن الزجاج ومبرمان وابن السراج وابن الخياط وغيرهم، رفع من شأن المذهب البصري. يراجع: نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، محمّد الطّنطاوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، دت، ص200-201.

[3] - موسوعة عباقرة الإسلام في النّحو واللّغة والفقه، خضر عكاوي دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 1993م، ج3/ص95.

[4] - هو أبو الطّيب أحمد بن الحسين الجعفي ولد بالكوفة سنة (303هـ) ونشأ بالشّام، قُتل في طريقه لبغداد مع ابنه محمّد وغلامه مفلح سنة (354هـ). يراجع: نزهة الألباء في طبقات الأدباء ابن الأنباري، تح: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط3، 1405هـ/1935م، ص219.

[5] - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4/ص1588.

[6] - شذرات الذّهب، ابن عماد، مج4/ص494.

[7] - موسوعة عباقرة الإسلام، خضر عكاوي، ج3/ص98.

[8] - نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص246 وَبغية الوعاة، السيوطي، ج2/ص132.

-**الشريف الرّضي:** وهو أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الشّاعر المشهور، ولد ببغداد سنة (359هـ)، وتلقّى العلوم والآداب على أساتذتها وعلمائها ودرس اللّغة على يد أبي الفتح عثمان بن جنّي حتّى صار بارعًا في الفقه والفرائض والآداب وسائر فروع العلم، حتّى صار شاعرًا فريدًا، وقد رثى السّيّد الشّريف أبا الفتح بقصيدة مطلعها:

أَلاَ يَا لِقَوْمِي لِلخُطُوبِ الطَّوَارِقِ◈وَلِلعُظْمِ يَرْمِي كُلُّ يَوْمٍ بِعَارِقِ[1]

-**أبو الحسن السّمسمي** (ت 415هـ)[2].

-**عبد السّلام البصري** (ت 429هـ).

-**أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني** (ت 442هـ)[3]

رابعا: شعره ونثره:

لابن جنّي شعر جيد إلاّ أنّه كان مقلاً، ذكرت كتب التّراجم أنّه كان يقول الشّعر ويجيد نظمه، وأنّ له أشعارا حسنة [4]. وقد ذكره الباخرزي في دمية القصر فقال: "ليس لأحد من أئمّة الأدب في فتح المقفلات، وشرح المشكلات ماله. ولاسيما في علم الإعراب فقد وقع منها على تمرة الغراب، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته. فوربي إنّه كشف الغطاء عن شعره، وما كنت أعلم أنّه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتّى قرأت له مرثية في المتنبي"[5].

---

[1] - ابن جنّي النّحوي، فاضل صالح السمرائي، ص78.

[2] - يراجع: نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص248.

[3] - هو أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني كان نحويّا فاضلا، وكان ضريرا، أخذ النّحو عن ابن جنّي، نزهة الألباء، ابن الانباري، ص256.

[4] - وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج3/ص246 وَشذرات الذّهب، ابن عماد، ج4/ص494.

[5] - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4/ ص1587.

وأوّل المرثيّة:

غَاضَ القَرِيضُ وَأَوْدَتْ نَضرة الأَدَب◈و صوحت بعد ري الكُتُب

والقريض: الشعر، والجريض: الغصّة أو تبلع الريق، ومن أمثال العرب: حال الجريض دون القريض، يراجع: ابن منظور، لسان العرب. ج2/ص232. مادّة (ج ر ض).

بالإضافة إلى الأشعار، لابن جنّي خطبة نكاح من إنشائه أثبتها ياقوت الحموي في معجمه [1].و الخطبة تنبئ بنفسها على مافيها من جزالة اللّفظ و بلاغة الأسلوب و جماله، و منها:

"الحمد لله فاطر السّماوات والأرض، ومالك الأجرام و النّقض، ذي العزّة والعلاء والعظمة والكبرياء، مبتدع الخلق على غير مثال، والمشهود بحقيقته في كلّ حال ... وأشهد شهادة تخضع لعلوها السّماوات وما أظلت، وتعجز عن حملها الأرضون ..."[2].

خامسا: مكانته العلميّة:

بلغ ابن جنّي مكانة علميّة ساميّة أثبتها له المتقدّمون والمتأخّرون على السّواء وكان مثار إعجاب بالغ، ومن قرأ نصوص المترجمين له يكاد يقول أنّه بلغ مكانة في العربيّة لم ينلها أحد سواه، فقد قال الثعالبي فيه: "هو القطب في لسان العرب، وإليه انتهت الرّياسة في الأدب ... وكان الشّعر أقل خلاله لعظم قدره وارتفاع حاله [3]، ويقول ياقوت: "عثمان بن جنّي النّحوي ... من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنّحو والتّصريف وصنف في ذلك كتبا أبرّ بها على المتقدّمين وأعجز المتأخّرين ولم يتكلّم أحد في التّصريف أدقّ كلامًا منه" [4]، ويقول صاحب الوفيات: "أبو الفتوح عثمان بن جنّي الموصلي النّحوي المشهور كان إمامًا في علم العربيّة " [5]، وكان المتنبّي يقول: "ابن جنّي أعرف بشعري منّي".

أمّا بالنّسبة للمحدثين فلا شكّ أنّ ابن جنّي يتصدّر المكانة السّاميّة عندهم وخاصّة عند علماء اللّغة والصّرف، فلا تكاد تجد بحثا في اللّغة والأصوات والتّصريف يخلو من ذكر ابن جنّي ذاكرين له النّظريّات التي قدّمها في مجال اللّغة. يقول محمّد أسعد أطلس: "والتف تلاميذ أبي علي حول زميلهم وخليفة شيخهم حتّى أصبح إمام بغداد وحجتها غير مدافع، كما أصبح مرجع العالم الإسلامي في علوم العربيّة "[6].

---

[1] - معجم الأدباء،ياقوت الحموي،ج4 /ص1587.
[2] - ابن جنّي النّحوي، فاضل صالح السمرائي، ص71.
[3] - يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد ص124.
[4] - معجم الأدباء – ياقوت الحموي ص81.
[5] - وفيات الأعيان، ابن خلكان ص410.
[6] - ابن جنّي النّحوي، فاضل صالح السمرائي، ص65

ويذكر النّاشرون لسرّ الصّناعة أنّه لا يكاد يُعرف بين علماء العربيّة في القرن الرّابع أو بعده نظير لأبي الفتح عثمان بن جنّي الذي ترك ثروة تأليفيّة ضخمة يغمرها الابتكار والطّرافة، واتّساع الأفق والكشف عن الأسرار اللّغويّة التي استقرّت في الوعي الباطن لأجيال العرب، وسهولة الأسلوب[1]. وبه وبشيخه ختم الأئمّة المبتكرون[2]. وهو بحقّ فيلسوف العربيّة و باقرها[3].

ومن هذا الاستعراض لأهمّ آراء القدماء والمحدثين حول ابن جنّي يتبين لنا أنّه كانت له مكانة مرموقة وراقيّة بين الذين عاصروه وأيضا ممن قرؤوا له وشغفوا بمؤلّفاته المتنوّعة في حقول العربيّة، وبهذا يكون هذا العالم الفذ قد جعل لنفسه مكانة ساميّة.

ومن بين الشّواهد على مكانته العاليّة هو وجود بصماته وآرائه وكلماته وتعليلاته وما نقل على العرب منتشرًا ومبثوتا في عديد الكتب: كلسان العرب، والمخصّص لابن سيدا والمحكم.

سادسا: آثاره ومؤلّفاته:

أثرى ابن جنّي المكتبة العربيّة بمصنّفاته الكثيرة والمفيدة والتي بلغت نحو خمسين مؤلّفا، شُهد لها بقيمتها الكبيرة، فهاهو الشّيخ محمّد الطّنطاوي يقول فيها: "ومؤلّفاته تبهر الأفكار، فإنّها مع كثرتها غاية في الإتقان..." [4]. وقد تنوّعت علوم مؤلّفاته فألّف في اللّغة وفي النّحو وأصوله، وفي التّصريف، وفي الأدب والشّعر، وفي الفقه والقراءات.

وقد ذكر ابن جنّي أسماء بعض كتبه في إجازة لتلميذه أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر سنة (384هـ)، أي قبل وفاته بنحو ثماني سنوات، وقد جاء في أوّلها: "بسم الله الرّحمان الرّحيم: قد أجزت للشّيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر - أدام الله عزّه- أن يروي عنّي مصنّفاتي وكتبي ممّا صحّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السّلام بن الحسين البصري - أيّد الله عزّه- عنده منها ..."[5] ثمّ ذكر الكتب التّاليّة:[1]

[1] - مقدّمة سرّ صناعة الاعراب،ص6
[2] - المرجع نفسه ص34.
[3] - مقدّمة الخصائص، محمّد علي النجار، ص26.
[4] - نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، محمّد الطّنطاوي، ص202.
[5] - معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج4/ص1597 - 1600.

1. الخصائص.
2. التمام في تفسير أشعار هذيلممّا أغلفه السكري.
3. سرّ الصّناعة.
4. تفسير تصريف المازني.
5. شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها.
6. شرح المقصور والممدود عن السّكيت.
7. تعاقب العربيّة.
8. تفسير ديوان المتنبّي الكبير.
9. تفسير معاني ديوان المتنبّي.
10. اللّمع في العربيّة.
11. مختصر التّصريف المشهور بالتّصريف الملوكي.
12. مختصر العروض والقوافي.
13. الألفاظ المهموزة.
14. المقتضب في اسم المفعول المعتلّ العين من الثلاثي.
15. تفسير المذكّر والمؤنّث ليعقوب (ذكر أنّه لم يتممه).
16. تأييد فكرة أبي علي.
17. المحاسن في العربيّة (ذكر أنّه فقد منه).
18. النّوادر الممتعة في العربيّة (ذكر أنّه فقد منه).
19. الخاطريّات.

وهذه وقد ذكر ياقوت الحموي أنّ لابن جنّي كتبًا لم تذكر في هذه الإجازة ومنها:

1. المحتسب في شرح الشّواذ.
2. تفسير العلويات (أربع قصائد للشّريف الرّضي).
3. تفسير أرجوزة أبي نواس.

[1] - هذه الكتب مرتبة كما ذكرها ابن جنّي في إجازته وكما ذكرها ياقوت في معجمه.

4. البشرى والظفر (صنعه لعضد الدّولة).
5. رسالة في مدّ الأصوات ومقادير المدّات (كتبها لابن إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري).
6. المذكّر والمؤنّث.
7. المنتصف.
8. مقدّمات أبواب التّصريف.

وغيرها من الكتب الحسان التي لم نرد حصرها، والتي للأسف لم يصل إلينا منها إلاّ القليل.

سابعا: وفاة ابن جنّـي:[1]

تكاد تجمع الرّوايات على أن وفاة ابن جنّي كانت ببغداد في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنين وتسعين وثلاثمائة للهجرة (392هـ) في خلافة القادر، ورثاه الشّريف الرّضي بمرثيّة مطلعها:

أَلاَ يَا لِقَوْمِي لِلخُطُوبِ الطَّوَارِقِ ◈وَللعُظْمِ يَرْمِي كُلُّ يَوْمٍ بِعَارِقِ

ومنها:

لتُبك أَبَا الفَتْحِ العُيُونُ بِدَمْعِهَـــا ◈وَالسَنَنَا مِنْ بَعْدِهَا بِالمَنَاطِـــقِ

ودفن بالشونيزي الذي هو من جملة مقابر بغداد، عند قبر أستاذه الشّيخ أبي علي الفارسي، وهي مقبرة الشّيخ جنيد الحاليّة وتعرف بالشونيزية أيضا، وأكثر مدفونيها متصوفون.

رحل ابن جنّي عن الدّنيا، وخلّف مؤلّفات تتحدّث عنه وعن علمه الجمّ وبصيرته النّافذة الّتي جعلته من فطاحلة اللّغة والنّحو- رحمه الله تعالى-.

[1] - ينظر: - نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص246.

- وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج3/ص246.

المبحث الثاني: قراءة في كتاب الخصائص.

أولا: عنوانـــه.

ما إن يذكر كتاب الخصائص حتّى يتبادر إلى الذهن - ودون أدنى تفكير- اسم مؤلّفه ابن جنّي، وبالمثل إذ ذكر ابن جنّي فإنّه يذهب بالفكر إلى كتابه الشّهير الخصائص. فهو بحق من أجلّ الكتب الّتي أفادت بها قريحة هذا النّحوي الشّهير المتقدّمين، وأذهلت عقول المتأخّرين من الدّارسين الرّاغبين في استنباط خصائص وأحكام هذه اللّغة، ومن أغلب الجوانب الصّوتيّة، والصّرفيّة، والدّلاليّة، والنّحويّة وغيرها، ونقول من أغلب الجوانب لأنّ كتاب الخصائص حقا ألمّ بجل جوانب اللّغة من نحوها وصرفها وأصواتها ودلالتها؛ حتّى أنّنا نجد الدّارسين يتضاربون في تصنيف مادّته. فهناك من يقول بأنّه كتاب في التّصريف، وهناك من يقول بأنّه كتاب في أصول النّحو. ونحن نقول بأنّه موسوعة لغويّة حوت الدّراسات الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلالية ودراسات أصول النّحو. وبهذا حقّق هذا الكتاب شهرة واسعة لمؤلّفه، حتّى بات يستقطب الدّارسين الشّغوفين باستنباط مادّته وتفسيرها وتصنيفها قديما وحديثا.

أمّا عن عنوانه فقد تداولت له تسميتان إحداهما أشهر من الأخرى، أمّا الأشهر فهي "الخصائص"، وهذه نجدها في أغلب كتب النّحو والتّراجم الّتي ذكرت ابن جنّي ومؤلّفاته،أمّا الأخرى فهي "الخصائص في النّحو" وهذه قليلة الورود في كتب النّحو والتّراجم .

وجدير بالذكر أن نقول أنّ ابن جنّي عندما ذكر مؤلّفاته في إجازته لتلميذه قال كتاب الخصائص، ولم يخصّص القول بـ : الخصائص في النّحو، أو في اللّغة، أوفي الصّرف، أو في غيرها. فالخصائص يعني بها خصائص العربيّة كما اتّضح من كلامه التّالي: "... واعتقادي فيه أنّه من أشرف ما صنّف في علم العرب، وأذهبه في طريق القياس والنّظر، وأعوده عليه بالحيطة والصّون. وآخذه له من حصّة التّوقير والأون، وأجمعه للأدلّة على ما أودعته هذه اللّغة الشّريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الإتقان والصّنعة ".[1]

[1] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمد علي النجار، ج1/ص1

ثانيا:الهدف من تأليفه.

أهدى ابن جنّي كتابه "الخصائص" للملك بهاء الدّولة البويهي [1]، وهذا يظهر في قوله:"... هذا - أطال الله بقاء مولانا الملك السّيّد المنصور المؤيّد بهاء الدّولة وضياء الملّة وغياث الأمّة، وأدام ملكه ونصره، وسلطانه ومجده، وتأييده وسمُوّه، وكبت شانئه وعدوّه - كتاب لم أزل على فارط الحال، وتقادم الوقت، ملاحظا له، عاكف الفكر عليه، منجذب الرّأي والرّويّة إليه، وادًّا أن أجد مهملا أصله به. أو خللا ارتقه بعمله ".[2]

وقد بيّن ابن جنّي من خلال مقدّمته للكتاب سبب تأليفه له، ويمكننا أن نحصر هذه الأسباب في النّقاط التّاليّة:

أ -أنّه لم ير أحدًا من علماء المذهبين البصري والكوفي قد ألّف في علم أصول النّحو: "... وذلك أنَّا لم نر أحدا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النّحو على مذهب أصول الكلام والفقه ".[3]

ب -لأنّه رأى أنّ ما ألف في علم أصول النّحو لم يكن كافيا: " فأمّا كتاب أصول أبي بكر [4]فلم يلمم فيه بما نحن عليه، إلاّحرفا أو حرفين في أوّله، وقد تعلّق عليه به، وسنقول في معناه، على أنّ أبا الحسن قد كان صنّف في شيء من المقاييس كتيبًا. إذا أنت قارنته بكتابنا هذا علمت بذلك أن نبنا عنه فيه وكفيناه كلفة التّعب به، وكافأناه على لطيف ما أولاناهمن علومه المسوقة إلينا المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا ".[5]

ج -أنّه أراد تلبيّة طلب بعض تلامذته التّأليف في هذا العلم: " ثمّ إنّ بعض ما يعتادُني ويلم لِقراءة هذا العلم بي، ممّن آنس بصحبته لي، وارتضي حال أخذه عنّي، سأل فأطال المسألة، وأكثر

---

[1] - تولّى الملك في بغداد مع الخضوع للخليفة العبّاسي بين (379هـ و 403هـ). يراجع: مقدّمة الخصائص، محمّد علي النجار،ج1/ص69.

[2] - الخصائص، ابن جنّي، تح، محمّد علي النجار، ج1/ص1.

[3] - المرجع نفسه،ج1/ص2.

[4] - يقصد به: أبو بكر بن السري المعروف بالسراج، كان من أئمّة النّحو المشهورين، أخذ عن أبي العباس المبرد، له مصنّفات حسنة منها كتاب الأصول، توفّي سنة (316هـ). يراجع: نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص186.

[5] - الخصائص،ابن جني،تح :محمد علي النجار،ج1/ص2.

الحفاوة والملاينة أن أمضي الرّاي في إنشاء هذا الكتاب، وأوليه طرفا من العناية والانصباب".[1]

ثالثا: مباحثـــه.

تضمن كتاب الخصائص مائة واثنين وستّين بابًا، بداية بـ (باب القول على الفصل بين الكلام واللّغة) وصولاً إلى (باب في المستحيل وصحّة قياس الفروع على فساد الأصول).

وقد تنوّعت موادّ هذه الأبواب حتّى تكاد تغطّي جلّ علوم العربيّة ولهذا عدّ كتاب الخصائص موسوعةفي علم العربيّة.

وحسبنا هُنا أن نذكر أهمّ العلوم الّتي تضمّنتها أبواب الكتاب وهي:

أ -**علوم اللّغة:** وهذا يظهر في بداية الكتاب في (باب القول على الفصل بين الكلام واللّغة)، وفي (باب القول على اللّغة وما هي)، وفي (باب القول على النّحو)، وفي (باب القول على الإعراب)، وفي (باب القول على البناء)، وفي (باب القول على أصل اللّغة أإلهام هي أماصطلاح؟).[2]

ب -**علما النّحو والصّرف:** أولى ابن جنّي هذين العلمين اهتماما كبيرا، فكان لهما الحظّ الوافر في الكتاب، ونلاحظ ذلك مثلا في (باب في شجاعة العربيّة) والذي تناول فيه ظاهرة الحذف، وظاهرة التّقديم والتّأخير، والفصل والتّحريف [3]، وفي (باب في إضافة الاسم إلى المسمى والمسمي إلى الاسم)، وفي (باب في تسميّة الفعل) [4]، وفي (باب دور الاعتلال)، وفي (باب في الاعتلال لهم بأفعالهم) [5]، وفي (باب في الغرض من مسائل التّصريف)، وفي (باب في تداخل الأصول الثلاثية والرّباعية والخماسيّة)، وفي (باب الاشتقاق الأكبر).[6]

---

[1] - نفس المصدر، ج1/ص3

[2] - الخصائص، ابن جنّي ج1، ص33-48

[3] - نفس المصدر،ج 2ص360.

[4] - نفس المصدر،ج3،ص24-34.

[5] - نفس المصدر،ج1،ص183-186.

[6] - نفس المصدر،ج2،ص478-44-133.

ج - **البلاغة:** ومنها: (باب في الفرق بين الحقيقة والمجاز)، و(باب في أنّ المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة).[1]

د - **علم الأصوات:** في (باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني)، وفي (باب السّاكن والمتحرّك)وفي (باب الإدغام الأصغر)، [2] وفي (باب كميّة الحركات)، وفي (باب في مطل الحركات)، وفي (باب في مطل الحروف)،[3].

هـ -**علم أصول النّحو:** والّذي كان الهدف الأساسي من تأليف كتاب الخصائص على حدّ قول ابن جنّي، فقد توزّعت مواضيعه على أبواب الكتاب وأجزائه. ومن هذه الأبواب نذكر: (باب في تقاود السّماع وتقارع الانتزاع)، (باب في تعارض السّماع والقياس)، (باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامالعرب) [4]، (باب في الامتناع من تركيب ما يخرج عن السّماع)، (باب في الشيء يسمع من الفصيح لايسمع من غيره) [5] ، (باب في المستحيل وصحّة قياس الفروع على فساد الأصول)[6].

و - **مواضيع أخرى:** نجد أن ابن جنّي تناول مواضيع أخرى مثل رواية الشعر في باب (في صدق النقلة وثقة الرّواة والحملة)، وسقطات العلماء في (باب في سقطات العلماء)، ومسائل علم الكلام في (باب فيما يؤمنه علم العربيّة من الاعتقادات الدّينيّة)، وكذلك ذكر فوائت كتاب سيبويه في (باب القول على فوائت الكتاب)، وفي (باب ذكر الأمثلة الفائتة للكتاب)[7].

رابعا: منهجيّة ابن جنّي في كتابه الخصائص:

افتقدت أبواب الخصائص للتّرتيب والتّبويب المنطقي أو الموضوعي، فقد جاءت الأبواب متفرّقة. فقد نجده يتحدّث في أبواب عن النّحو مثلا؛ ثمّ في الأبواب المواليّة عن أصول النّحو؛ ثمّ يعود ويتحدّث في الأبواب المواليّة عن النّحو. وهكذا فالباحث عن أصول النّحو مثلا عليه أن يتتبّع الكتاب كاملاً بابا بابا حتّيضمن أنّه يستخرج كلّ ما أفاد به ابن جنّي في هذا العلم.

---

[1] - نفس المصدر،ج2،ص442-447.
[2] - نفس المصدر،ج2،ص152-321-139.
[3] - نفس المصدر،ج3،120-124.
[4] - نفس المصدر،ج1،100-117.
[5] - نفس المصدر،ج2،17-21.
[6] - نفس المصدر،ج3،328.
[7] - الخصائص،ابن جني،ج3،309-282-345-185-187.

وعمل ابن جنّي هذا لا ينقص من قيمة الكتاب شيئا. فهذه صفة الكتابة في ذلك الوقت؛ عدم الاعتماد على ترتيب منطقي. فتأتي الكتابات مجملة لكلّ العلوم، حاوية لكلّ شاردة وواردة تخصّ المجال الّذي ألّف فيه.

وإذا نظرنا في كتاب الخصائص نجد أنّ ابن جنّي كان ينظر في كتب الفقه وأصوله ويحتذي حذوها، وينتزع أصول النّحو من مؤلّفات النّحاة وفصيح الكلام كما ينتزع الفقهاء أصول الفقه من علوم الشّريعة، لذلك فإنّ أصول النّحو العربي من سماع وقياس وإجماع، والاستدلال بها لتثبيت الأحكام وتقعيد القواعد هو محور التّأليف فيه.[1]

وقد تميّز منهج ابن جنّي في كتابه بعدّة صفات نذكر منها:[2]

- كان ابن جنّي يذكر تعدّد الوجوه ويرجّح الأصوب، ويذكر الخلافات ويُرجّح الأجدر، وقد يحكم بالأخذ بها جميعا ويبرّر ذلك بالتّعليل ويدعمه بالدّليل.
- لم يقتصر ابن جنّي على جمع والاحتذاء بغيره في جمع مادّته وتدوينها بل أضاف العديد، ووسّع القول، واستحدث الكثير.
- نجح ابن جنّي في عقد باب خاصّ للإجماع وتكلّم عنه فذكر أنواعه ومثّل له.[3]
- كما نجح أيضا في فتح باب الاجتهاد في إجازته مخالفة الإجماع إذا حولف فيه المنصوص والمقيس على المنصوص. ونح في فتح باب الاستشهاد حيث استشهد بكلام معاصريه كالمتنبّي وابن الشجري لثقته في فصاحتهم.
- يعتمد ابن جنّي في طرحه وتحليله للمادّة الغويّة على أسلوب المناقشة والحوار بإثارة الأسئلة والإجابة عليها وتحليل الظواهر وتعليل الأحكام من أجل الخروج بنتيجة ثابتة وقاعدة محدّدة. كما كان يكثر من التّقسيمات وتعدّد الفروض.
ومثال ذلك قوله: "فإن قيل: فما بالهم كثر عنهم باب فُعُل نحو عُنُق وطُنُب وقل عنهم باب فِعِل نحو إبِل وإطِل. مع أنّ الضّمّة أثقل من الكسرة ؟ ".

[1] - خصائص التّأليف النّحوي في القرن الرّابع الهجري، سعود بن غازي أبو تاكي، دار غريب، القاهرة، ط1، 1425هـ/2005م، ص219.
[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص219 – 224.
[3] - وهو باب القول على إجماع أهل العربيّة متى يكون حجّة. وهو منأبواب الجزء الأوّل من كتاب الخصائص،ص189.

فالجواب عنه في موضعين: أَحدهما أنّ سيبويه قال: "وأعلم أنّه قد يقل الشيء في كلامهم وغيره أثقل منه...، والآخر أنّ الضّمّة وإن كانت أثقل من الكسرة فإنّها أقوى منها وقد يحتمل للقوّة ما لا يحتمل للضّعف".[1]

[1] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمد علي النجار، ج1/ص68-69.

المبحث الثالث: الصوت عند ابن جنّي:

أولاً: تعريف الفونيم:

للفونيم تعريفات كثيرة ومختلفة منبثقة من توجهات العلماء ومناهجهم وتصوّراتهم للّغة والصّوت. وقد ظهر هذا المصطلح عام 1873م مع مرحلة رواد الفونولوجيا، وانتقل من فرنسا إلى باقي بلاد أوربا وأمريكا مصطلح القرن العشرين ليصبح واحدا من أهمّ المباحث الصّوتيّة [1]. وقد تُرجم مصطلح (الفونيم)، فكثرت الآراء فيه، ومن أبرزها:

- الوجهة النفسيّة أو العقليّة:

يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ الفونيم "هو الصّورة العقليّة للصّوت" أو " هو صوت مثالي نحاول تقليده في النّطق، ولكنّنا نفشل في انتاجه تمامًا كما نريد، أو بنفس الصّورة الّتي نسمعه بها" [2].

-الوجهة المادّيّة:

ويتزعّم هذا الرّأي (**دي سوسير**) الّذي يرى أنّ الفونيم "عنصر صوتيّ في اللّغة المنطوقةيقوم على أساس عضوي (هو تكوينه بواسطة أعضاء النّطق) وعلى أساس سمعي (وهو الصّفة الموضوعيّة أو الشّخصيّة للسّمع)" [3].

-الوجهة الوظيفيّة:

يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ الفونيم "أصغر وحدة صوتيّة عن طريقها يمكن التّفريق بين المعاني" [4]، مثال ذلك صوت (k) وصوت (q) في الإنجليزيّة فهذان الصّوتان لا يفرّقان بين المعاني، لذلك لا يعدّان فونيمين، في حين أنّهما فونيمان في العربيّة لأنّهما يفرّقان بين المعاني نحو (قال) و(كال). ومن رواد هذا الاتّجاه:

---

[1] - علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، علي حسن مزبان، دار شموع الثّقافة، الزّاوية، ط1، 2003، ص83.
[2] - علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، علي حسن مزبان ص 83.
[3] - في علم اللّغة العامّ، عبد الصّبور شاهين، جامعة حلب، دط، 1981م – 1982م، ص116.
[4] - دراسة الصوت اللّغوي، أحمد محتار عمر، عالم الكتب، القاهرة مصر، دط، 1418هـ/1997م، ص141.

تروبستكوي (Troubetzkoy): يرى بـ : "أنّها علامات مميّزة لا يمكن تعريفها إلاّ بالرّجوع إلى وظيفتها في تركيب كلّ لغة على حدّتها"[1].

-بلومفليد (Blom Feild): له رؤية تروبتسكوي للفونيم، ويعرفه على أنّه: "الوحدات الصّغرى من الصّفات المميّزة للأصوات"، و"أصغر ما يحدث اختلافا في المعنى من الوحدات"[2].

-الوجهة التّجريديّة:

يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ الفونيم ليس واقعا مادّيا أو نفسيّا، وإنّما هو وحدة مجرّدة خياليّة [3]، ومن أنصار هذا الاتّجاه:

-توادل (Twaddell): يرى بأنّ: "الفونيم ليس له وجود حقيقي لا من الناحية العضوية ولا من النّاحيّة النّفسيّة وإنّما هو وحدة خرافيّة تجريديّة ".[4]

وخلاصة هذه الآراء الّتي حاولت تقديم تعريف للفونيم كلّ من وجهة نظره ومنهجه في البحث اللّغوي، نتائج متماثلة تؤدّي إلى أهداف عمليّة معيّنة. وتتخلّص هذه النّتائج والأهداف فيما يلي:

"أ- الفونيم وحدة صوتيّة تميّز كلمة من أخرى؛ أي تقوم بالتّفريق بين الكلمات من النّواحي الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة.

ب -الفونيم وسيلة مهمّة في تسهيل عمليّة تعليم اللّغات الأجنبيّة، فالأصوات الفعليّة المنطوقة في أيّة لغة كثيرة كثرة فائقة، في حين أنّ فونيمات كلّ لغة تقلّ في عددها عن عدد هذه الأصوات المنطوقة بالفعل وبصورة ملحوظة.

ج -لفكرة الفونيم دور مهمّ في ابتكار الألفبائيّات أو نظم الكتابة بصورة ميسرة ودقيقة"[5].

ثانيا:أنواع الفونيمات:

[1] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص162.
[2] - نفس المرجع، ن ص.
[3] -نفس المرجع ، ن ص .
[4] - مناهج البحث في اللغة،تمام حسان،ص162.
[5] - علم الأصوات، كمال بشر،ص491.

قسم العلماء الفونيمات إلى نوعين هُما:[1]

أ - **فونيمات رئيسيّة** (تركيبيّة أو قطعيّة): وهي تلك الوحدات الصّوتيّة الّتي تكون جزءًا من أصغر صيغة لغويّة ذات معنى منعزلة عن السّياق. أو ذلك العنصر الذي يكون جزءًا أساسيّا من بنية الكلمة المفردة. وبهذا نقول إنّ اللّغة العربيّة الفصحى تشتمل على خمسة وثلاثين فونيما أساسيّا أو تركيبيّا وهي الصّوامت التّسعة والعشرين، والصّوامت السّتّة.

ب **فونيمات ثانويّة** (فوق التّركيبيّة أو غير القطعيّة): ويطلق عليها أيضا فونيمات تطريزيّة. وهي كلّ ظاهرة أو صفة صوتيّة ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتّصل. فهي إذن تظهر كلمة إلى أخرى أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصّة، كأن تستعمل جملة.

ومن أمثلة الفونيمات الثانويّة: النّبر، التّنغيم، والفواصل الصّوتيّة.

ثالثا: بين الفونيم والألفون، والصّوت والحرف:

أ - بين الفونيم و الألفون:

الفونيم (Phonème) مصطلح سبق التّعرّف على معانيه، وإن لم يتفق العلماء على تعريف جامع ودقيق له، إلاّ أنّنا سنقوم بالتّمثيل له حتّى نتعرّف عليه أكثر.

لدينا في اللّغة العربيّة مثلا: الفعل (قال) إذا أحلَلْنا مكان القاف في هذا الفعل ميما ولم ندخل أي تغيير على الكلمة لتتحوّل إلى (مال)، وبذلك تغيّر المعنى. فالقاف إذن فونيم والميم فونيم آخر، لأنّه أدّى إلىتغيير المعنى.ومثله أيضا في كلمتي (عَمْ) و(غَم)، وفي الكلمتين الفرنسيّتين (pas) و(bas).

وقد يظهر الفونيم في العربيّة على شكل حركة، فكلمة (عَلِمَ) تختلف عن (عِلْمٌ) وتخلف عن (عَلَمٌ) فالفتحة فونيم، والضّمّة فونيم، والكسرة فونيم[2].

[1] - ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ص496 – 497. والدّراسات الصّوتيّة، حسام البهنساوي، ص165 – 166.
[2] - مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، نور الهدى لوشن، ص124 – 125.

ولهذا نقول إنّ اللّغة العربيّة تتكوّن من تسعة وعشرين فونيما وهي الصّوامت، بالإضافة إلى ستّة فونيمات وهي الصّوائت: الفتحة والضّمّة والكسرة مع نظيراتها الطّويلة: الألف والواو والياء، فيكون المجموع بهذا خمسة وثلاثين فونيما.

أمّا الألفو ن (Allophone) فهو شكل من الأشكال الّتي يظهر فيها الفونيم. أو هو أحد أفراد المجموعة الّتي يضمّها الفونيم. أو نقول: الألوفون هوإحدى الصّور المتشابهة والمتنوّعة للفونيم.

ومن أمثلة الألوفونات: الفتحات في اللّغة العربيّة ألفونات لفونيم واحد وهو الفتحة. فالفتحة في (طاب) مضخّمة، وفي (تاب) مرققة، وفي (قال) بين بين، وكلّها ألفونات للفتحة.

وكذلك فونيم النّون، له ألوفونات مختلفة منها في (نَحْنُ) و(إنْ قَال) و(إنْ شَاء) و(إنْ ظهر)، حيث نلاحظ أنّ مخرج صوت النّون يختلف من لفظة إلى أخرى على حسب الأصوات المجاورة له، ولكنّها كلّها تدخل ضمن مصطلح واحد وهو فونيم النّون.

ويمكننا اعتبار الفتحة بين بين ألوفونا رئيسيّا لفونيم الفتحة، والفتحة المرققة والفتحة المضخّمة ألوفونان ثانويّان للفتحة.

ويمكننا القول أيضا أنّ العلاقة بين الفونيم والألوفون كالعلاقة بين الجزء والكلّ، فالفونيم هو الكلّ والالوفون هو جزء من الكلّ.

وعلينا أن ندرك أنّ ما يكون ألوفونا في لغة ما قد يكون فونيما في لغة أخرى مثل: (p) و(b) في اللّغة الإنجليزيّة هما فونيمان مختلفان في(Ball) و(Pall)، إلاّ أنّهما ألوفونان لفونيم واحد في اللّغة العربيّة وهو فونيم الباء[1].

ومعرفة الوحدة الصّوتيّة هل هي فونيم أو ألوفون، يكون بتجريب الصوتين بأن يوضع كلّ منهما في مكان الآخر في كلمة ما مع الاحتفاظ بباقي حروفها. فإن حدث وَوُجد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإن لم يحدث أي اختلاف في المعنى نتيجة هذا التّغيير فهما ألوفونان لفونيم واحد.[2]

[1] - علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، ص126.
[2] - المصطلح الصّوتي في الدّراسات العربيّة، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق سوريّة، دط، 1998م، ص226.

ب ـ الصّوت والحرف:

الصّوت لغة: هو الجرس. أمّا اصطلاحًا: فقد جاء في رسالة أسباب حدوث الحروف: "الصّوتسببه القريب تموج الهواء دفعة بسرعة وبقوّة من أيّ سبب كان"[1].

أمّا عند علماء العربيّة فهو أثر سمعي يصدر عن أعضاء النّطق غير المحدّد بمعنى معيّن في ذاته أو في غيره.[2]

ويعرّفه رمضان عبد التّواب بقوله: "الصّوت هو ذلك الّذي نسمعه ونحسّه ‘‘ [3].وعرّفه د.إبراهيم أنيس بأنّه: ’’ظاهرة طبيعيّة ندرك أثرها دون أن ندرك كنهها"[4].

أمّا الحرف فقد جاء في اللّسان: "الحرف في الأصل هو الطَّرَفُ والجانِبُ ... حرفا الرّأس شقاه، وحرفا السّفينة والجبل جانبهما، والجمع أحرُف وحُروف و حِرَفة "[5].

أمّا في الاصطلاح: الحرف هو رمز كتابي للصّوت اللّغوي، ولفظ يدلّ على الصّوت اللّغوي أيضا، مثل حرف الرّاء وحرف الميم بمعنى صوت الميم وهكذا.[6]

ويعرّفه رمضان عبد التّواب بقوله: "الحرف هو ذلك الرّمز الكتابي الذي يتّخذ وسيلة منظورة للتّعبير عن صوت معيّن أو مجموعة من الأصوات لا يؤدّي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى".[7]

والفرق بين الصّوت والحرف هو فرق ما بين العمل والنّظر، أو بين المثال والباب أو بين أحد المفردات والقسم الذي يقع فيه، فالصّوت عمليّة نطقيّة تدخل في تجارب الحواسّ وعلى الأخصّ حاسّتي السّمع والبصر، يؤدّيه الجهاز النّطقي حركة وتسمعه الأذن، وترى العين بعض حركات

---

[1] ـ رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، تح: محمّد حسان الطيان ويحي مير علم، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، دط، دت، ص56.
[2] ـ المصطلح الصوتي في الدراسات العربية 216.
[3] ـ المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، رمضان عبد ال تّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ط3، 1417هـ/1997م، ص84.
[4] ـ الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط4، 1971، ص6.
[5] ـ لسان العرب، ابن منظور، ج3/ص120. مادة (ح ر ف) تحـ: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث للنّشر، الجزائر، ط1، 2008م.
[6] ـ المصطلح الصّوتي في الدّراسات العربيّة، عبد العزيز الصيغ، ص217.
[7] ـ المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، رمضان عبد التوّاب، ص84.

الجهاز النّطقي حين أدائه. أمّا الحرف فهو مجموعة من الأصوات يجمعها نسب معيّن فهو فكرة عقليّة لاَ عمليّة عضلية، وإذا كان الصّوت ممّا يُوجده المتكلّم، فإنّ الحرف ممّا يوجده الباحث.[1]

والصّوت جزء من تحليل الكلام. والحرف جزء من تحليل اللّغة؛ لأنّ الكلام يخصّ فردًا بعينه، وهو منطوق، أمّا اللّغة فهي خاصّة بمجموعة من الأفراد، وهي مكتوبة.

ومثالنا عن الحرف وأصواته، نقول: اللاّم حرف، واللاّم المضخّمة في (والله)، واللاّم المرققة في (بالله) أصوات لحرف اللاّم.

إذن العلاقة بين الحرف والصّوت هي مثلها بين الفونيم والألوفون فإذا كان الألوفون جزء من الفونيم، فإنّ الصّوت جزء من الحرف.

والحرف هو الفونيم، يقول رمضان عبد التّواب: "وهذه التّفرقة بين الصّوت والحرف على هذا النّحو نتوصّل بها إلى جعل الحرف مساويا للاصطلاح الغربي فونيم" [2]. ويقاسمه هذا الرّأي تمام حسان إذ يقول: "الفونيم في أحد معانيه يقصد به معنى الحرف"[3].

كما نجد أنّ تمام حسان قد فرق بين الحرف والرّمز الكتابي فيقول: "وليست الحروف هي تلك الصّور الكتابيّة الّتي نخطّها بالقلم. فهذه رموز كتابيّة إلى الحروف"[4].

رابعاً: فكرة الصوت عند ابن جنّي:

[1] - اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط4، 2000م، ص129.
[2] - المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، رمضان عبد التواب، ص84.
[3] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص158.
[4] - اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، تمام حسان، ص119.

وعندما عنونا هذا المبحث بـ : (فكرة الصوت عند ابن جنّي) لا نريد بذلك أن نبحث عن الصوت في دراسات ابن جنّي، بل نريد أن نبحث عن ما يدلّ على أنّ ابن جنّي كان على وعي بفكرة الفونيم أم لا.

وبما أنّنا توصّلنا إلى أنّ الفونيم هو الحرف، فطريقنا إلى البحث عن الفونيم عند ابن جنّي هو تقصّي الحرف عنده، كيف نظر إليه ؟ وهل فرّق بينه وبين الصّوت كما فرقت الدّراسات الحديثة بين الفونيم والألوفون؟ وكيف كانت نظرته لفونيمات اللّغة العربيّة ؟

لقد نظر ابن جنّي إلى الحرف على أنّه: "حدّ منقطع الصّوت وغايته و طرفه "[1]. وقد سمّى المقطع حرفا أيضا. وهو ما يعرض للصّوت فيثنيه على امتداده، فقال: "فيُسمّى المقطع أينما عرض له حرفا "[2].

إلاّ أنّ تسميته المقطع حرفا لا تكون إلاّ على ضرب من المجاز؛ لأنّه من المعروف أنّ المقطع هُنا هو مخرج الصّوت لاَ الحرف.

وقد عرّف ابن جنّي الصّوت أيضا فقال: "اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلاً متّصلاً"[3].والصّوت على هذا التّعريف يشترك فيه الحيوان النّاطق والحيوان الأعجم.

ممّا سبق نلحظ أنّ ابن جنّي عرف المصطلحين - الصّوت والحرف– والظّاهر من تعاريفه أنّه فرّق بينهما، إلاّ أنّ تفريقه هذا ليس كتفريق العلماء المحدثين؛ وهذا لأنّنا نجد أنّ ابن جنّي كثيرا ما يقرن المصطلحي معا، فنجده مثلاً في كتابه سرّ صناعة الإعراب يقول: "علم الأصوات والحروف"[4].

وقد يستخدم ابن جنّي المصطلحين في معنى واحد، فنجده في حديثه عن الإدغام مثلاً يقول: تقريب الصّوت من الصّوت، ثمّ يعود ويقول: "تقريب الحرف من الحرف".

[1] - سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي أبو الفتح عثمان، تح: محمد حسن اسماعيل و أحمد رشدي شحاتة عامر،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط1421،1/2000،مج1/ص28.
[2] - المصدر نفسه، مجلّد1/ص19.
[3] - سر صناعة الإعراب ، ابن جني،مج 1/ص19.
[4] -المصدر نفسه،مجلد1،ص22.

ويقول أيضا في حديثه عن مضمون كتابه سرّ صناعة الإعراب: "أذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها، وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها و مهموسها ..."[1].

والصّحيح أنّ هذه أحوال وصفات الأصوات المسموعة لا الحروف المكتوبة ويضيف ابن جنّي: "واعلم أنّ هذه الحروف التّسعة والعشرين قد تلحقها ستّة أحرف تتفرع عنها حتّى تكون خمسة وثلاثين حرفا، وهذه السّتّة حسنة ... وقد تلحق بعد ذلك ثمانيّة أحرف وهي حروف غير مستحسنة"[2].

ومن المعلوم أنّ اللّغة العربيّة تتكوّن من تسعة وعشرين حرفا، أضاف إليها ابن جنّي هنا ستّة أحرف حسنة وهي: النّون الخفيفة، والهمزة المخففة، وألف لتّفخيم، وألف الإمالة، والشّين الّتي كالجيم، والصّاد الّتي كالزّاي، وثمانيّة أحرف غير مستحسنة وهي: الكاف الّتي بين الجيم والكاف، والجيم الّتي كالكاف، والجيم الّتي كالشّين، والضّاد الضّعيفة، والصّاد الّتي كالسّين، والطّاء الّتي كالتّاء، والظّاء الّتي كالثاء، والباء الّتي كالميم.[3]

وابن جنّي يقرّ أنّ هذه الحروف الأربعة عشرة الّتي أضافها لا يصح أمرها إلاّ بالسّمع والمشافهة، أي أنّه ليس لها رمزًا كتابيّا خاصا، إلاّ أنّه يسمّيها حروفا في حين هي أصوات.

ومن هذا يتبيّن أنّ ابن جنّي لا يفرق بين الصّوت والحرف كتفريق المحدثين، والغالب على دراساته استخدام المصطلحين لمفهوم واحد.

لقد تفطن ابن جنّي إلى أنّ تغيير الحروف يؤدّي إلى تغيير المعاني، وهو نوع من أنواع الدّلالة الصوتيّة، ولقد درس ابن جنّي موضوع استبدال حرف مكان آخر، والّذي يؤدّي إلى تغيّر المعنى في كتابه الخصائص تحت باب (في إمساس الألفاظ أشباه المعاني).

[1] - المصدر نفسه، مج1/ص16 – 17.
[2] - المصدر نفسه، مج1/ص59.
[3] - سر صناعة الإعراب ،ابن جني،مجلد 1،ص59

بحيث أشار ابن جنّي في هذا الباب إلى أنواع مختلفة من الدّلالة الصّوتيّة من ذلك أنّه تحدّث عن حكاية الأصوات الطّبيعيّة كـ : صرّ لصوت الجندب لما فيه من استطالة، وصَرْصَر لصوت البازي لما فيه من تقطيع"[1].

وقد أشار إلى الدّلالة المستمدّة من الصيغ الصّرفيّة، مثل الّتي على وزن الفَعَلاَن وقال أنّهما تأتي للاضطراب والحركة نحو النَّقَزَان والغليان والغَثَيَان ... والمصادر الرّباعيّة المضعفة تأتي للتّكرير نحو الزّعزعة والقلقلة ... وغيرها من الصيغ.[2]

ولمح ابن جنّي إلى ما يعرف بـ (الفونيم)، وهي أنّه قد يتردّد الصّوت نفسه أكثر من مرّة في كلمة من الكلمات، ولكنّه ينطق في كلّ مرّة نطقا خاصًّا به أي: الصّوت الّذي يختلف باختلاف سياقه الصّوتي. فقد ذكر ابن جنّي ذلك قائلاً: "وذلك أنّ العين إذا كانت ساكنة فليس سكونها كسكون اللاّم وسأوضّح لك حقيقة ذلك لتعجب من لطف غموضه وذلك أنّ الحرف الساكنليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله إذا وقفت عليه " [3]. وهذا يعني أنّ النّون مثلا تتنوّع بحسب سياقها الصّوتي، فالنّون في كلمة (نَهْر) تختلف من النّاحيّة الصّوتيّة عن النّون في كلمة (مِنْكَ).

ويقول ابن جنّي: "ومن ذلك قولهم: خَضَمَ، وقَضَمَ. فالخضم لأكل الرّطب كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرّطب. والقضم للصّلب اليابس نحو قضمت الدّابّة شعيرها ونحو ذلك ..." .

"ومن ذلك قولهم: النَّضْحُ للماء ونحوه، والنَّضخُ أقوى من النّضْحِ قال تعالى:﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾فجعلوا الحاء لرقّتها للماء الضّعيف، والخاء لغلظتها لما هو أقوى منه "[4].

لقد أدرك ابن جنّي أنّ الحروف (الفونيمات) تلعب دورًا هامًّا في الدّلالة، وأنّ إحلال إحداها مكان الآخر يولّد دلالة جديدة، من ذلك في المثال الأوّل: خضم وقضم. فالخاء تدلّ على الرّخاوة، وبالتّالي جاء الفعل (خضم) للدّلالة على أكل الرّطب. والقاف تدلّ على الشّدّة، لذلك جاء الفعل (قضم) للدّلالة على أكل اليابس.

[1] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمد علي النجار، ج2/ص152.
[2] - المصدر نفسه، نفس الصفحة.
[3] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار، ج1/ص57.
[4] - نفس المصدر،ج1/ ص157.

وفي المثال الثاني: جعلت الحاء لرقّتها للدّلالة على تسرّب السّائل في تأنٍّ وبطء، والخاء لغلظتها للدّلالة على فوران السّائل في قوّة وعنف.

وأورد ابن جنّي أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدعم رأيه في أنّ للفونيمات دور مهمّ في الدّلالة.[1] وإن لم يصرّح بذلك إلاّ أنّ أمثلته وتحليله أغنوا عن التّصريح.

وبهذا يكون ابن جنّي قد نال شرف السّبق إلى مثل هذا التّحليل، متقدّما بذلك على جميع علماء اللّغة المحدثين.

وخلاصة القول نشير إلى أنّ الفونيم كفكرة كان موجودًا في فكر ابن جني، و لذلك توصّل إلى أنّ الفونيم يميز كلمة عن أخرى أي يقوم بالتّفريق بين الكلمات، وبه تمكن من تحديد حروف اللّغة العربيّة التّسعة والعشرين، وإن كان بهذا التّحديد مقلّدا لسابقيه أمثال الخليل وسبويه إلاّ أنّ كلامه عنه تأكيد له.

وبما أنّ ابن جنّي قد توصّل إلى أهمّ وظائف الفونيم، فإنّه بالتّأكيد كان يفقه فكرة الفونيم وكان على وعي بها، وإن لم يصرّح بذلك. إلاّ أنّ ما توصّل إليه يغني عن كلّ تصريح.

[1] - نفس المصدر، ج2/ص158.

المبحث الرّابع: فكرة المقطع عند ابن جنّي.

أولاً:تعريف المقطع ومكوّناته:

لغـــــــــة: جاء في لسان العرب: "مَقْطَعُ كلّ شيء آخره. يقال شراب لذيذ المقطع أي الآخرو الخاتمةوالمقطع غاية مَا قُطع. والمقطع الموضع الّذي يقطع فيه النّهر من المعابر"[1].

وجاء في المعجم الوسيط: "المَقْطَعُ من كلّ شيء آخره حيث ينقطع وينتهي كمقاطع الرّمال والأوديّة والمزارع ونحوها. والمقطع من النّهر الموضع الّذي يعبر فيه ومقطع الحق ما يقطع به الباطل"[2].

اصطلاحًـــــا: لقد اختلف علماء الأصوات في تعريف المقطع، فبرز اتّجاهان رئيسيّان في تعريفه هُما:[3]

أ -اتّجاه فونيتيكي: تعدّدت تعريفات العلماء ومنطلقاتهم فمنهم من يرى أن:

-المقطع هو تتابع من الاصوات الكلاميّة له حدّ أعلى أو قمّة إسماع طبيعيّة – بغضّ النّظر عن العوامل الأخرى مثل النّبر والتّنغيم – تقع بين حدّين أدنَيَيْن من الإسماع.

-المقطع هو قطاع من تيّار الكلام يحوي صوتًا مقطعيا ذا حجم أعظم محاط بقطاعين أضعف صوتيا.

-المقطع هو أصغر وحدة مركّبة في تركيب الكلمة.

ب -اتّجاه فونولوجي: والفونولوجيا هي المعيار الأدقّ والأقرب إلى تعريف لمقطع، فأصحاب هذا الاتّجاه يعرفونه بالنّظر إلى كونه وحدة في كلّ لغة على حدة.

ومن التّعاريف أيضا:

-الوحدة الّتي يمكن أن تحمل درجة واحدة من النّبر كما في الإنجليزية، أو نغمة واحدة كما في كثير من اللّغات النّغميّة.

---

[1] - لسان العرب، ابن منظور، ج11/ص200. مادّة (قـ ط ع).
[2] - المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، ط4، 1425هـ/2004م، ص746. مادّة (قطفت).
[3] - دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص284 – 286.

-عرّفه دي سوسير بأنّه الوحدة الأساسيّة الّتي يؤدّي الفونيم وظيفة داخلها، وعمّم بعضهم مفهوم الفونيم في التّعريف ليشمل الفونيمات التّركيبيّة وفوق التّركيبيّة.

-وحدة تحتوي على صوت علّة واحد وواحد فقط، إمّا وحده أو مع سواكن بأعداد معيّنة وبنظام معيّن.

ويقول كمال بشر: "يمكن القول بشيء من التّجوز، إنّ المقطع من حيث بنائه المثاليأو النّموذجي أكبر من الصّوت وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كامات تتكون من مقطع واحد مثل: (مَنْ) بفتح الميم أو كسرها. والكلمات الّتي تتكوّن من مقطع واحد تسمّى (أحاديّة المقطع). في حين الّتي تتشكّل من أكثر من مقطع يطلق عليها (متعدّدة المقاطع)".[1]

ويقول تمام حسان: "المقاطع تعبيرات عن نسق منظّم من الجزيئات التحليلية أو خفقات صدريّة في أثناء الكلام، أو وحدات تركيبيّة، أو أشكال وكمّيات معيّنة ".[2]

ويقول عاطف مدكور: "يشير المقطع إلى مجموعة من التّتابعات المختلفة من الصّوامت والصّوائت، مع ملامح أخرى مثل النّبر والتّنغيم، تهتمّ بها اللّغات كمجموعة موحّدة للتّحليل".[3]

ويقول رمضان عبد التّواب: "المقطع الصّوتي هو كمّيّة من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي العربيّة مثلاً لا يوجد الابتداء بحركة، ولذلك يبدأ كلّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصّامتة ".[4]

ويتكوّن المقطع من ثلاثة عناصر وهي: والنواةوالاستئناف والذيل.[5]

-النّواة: هي قمّة الاسماع وعادة ما تكون حرفًا صائتًا.

-الاستئناف هو بداية المقطع.

-الذيل هو نهاية المقطع.

---

[1] - علم الأصوات. كمال بشر، ص505.
[2] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص170.
[3] - علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، عاطف مدكور، ص127.
[4] - المدخل إلى علم اللّغة، رمضان عبد التوّاب، ص101.
[5] - اللّغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، الاسكندريّة مصر، دط.،دت،ص77.

ويركّز في دراسة المقطع على (الصّائت) لأنّه يمثل قمّة الاسماع في المقطع، لأنّه أعلى درجة في الوضوح السّمعي (Sononity) من جميع الصّوامت، وقد لاحظ الدّارسون المحدثون أنّ أصواتا صامتة هي اللاّم والنّون والميم والرّاء تلي الأصوات الصّائتة في درجة وضوحها السّمعي وترد لذلك (قمّة) في المقطع على نحو ما يرد الصّائت، ولهذا عدّت هذه الأصوات المعروفة بالأصوات المائعة.[1]

ومن مكوّنات المقطع يرى البعض أنّهمن المناسب أن تقسم الفونيمات الرّئيسيّة في العربيّة غلى قسمين هما:

- **فونيمات مركزيّة:** وهي الفونيمات الّتي تصلح أن تكون نواة المقطع، وهي الأصوات الّتي لها قمّة إسماع عاليّة، وتتشكّل من الحركات القصيرة: الفتحة والضّمّة والكسرة، مع نظائرها الطّويلة الألف والواو والياء.
- **فونيمات غير مركزيّة:** وهي فونيمات مساعدة في بنية المقطع، وتتشكّل من كلّ الأصوات السّاكنة أو الصّامتة أو الصّحيحة.

ثانيا:أنواع المقاطع:

المقاطع الصّوتيّة نوعان: متحرّك (Open) وساكن (Closed)، فالمقطع المتحرّك هو الّذي ينتهي بصوت ليّن قصير أو طويل، أمّا المقطع السّاكن فهو الّذي ينتهي بصوت ساكن.[2]

والمقطع المتحرّك يسمّى أيضا المفتوح ويرمز له بـ : (ص ح) بحيث (ص) تمثل صامت و(ح) تمثل حركة، ومثاله: (بِــ - لِــ).

والمقطع السّاكن يسمّى أيضا المغلق وينتهي بصامت (ص ح ص)، ومثاله: (مِنْ)، أمّا بالنّسبة للمعيار الثاني فتنقسم المقاطع إلى:

- مقطع قصير: وهو الّذي يتكوّن من صامت + حركة، (ص ح)، ومثاله: (مَـ) في (مَدِينَة).

[1] - علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، علي حسن مزبان، ص90.
[2] - الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس،ص162.

- مقطع متوسّط: وهو الّذي يتكوّن من ثلاثة أصوات مثل: (ص ح ص)، ومثاله (هَلْ) أو يتكوّن من صوتين، (ص ح ح) بحيث (ح ح: حركة طويلة)، ومثاله (مَـا - لاَ).
- مقطع طويل: وهو الّذي يتكوّن من ثلاثة أصوات مثل: (ص ح ح ص)، ومثاله: (بـابٌ). أو يتكوّن من أربعة أصوات مثل: (ص ح ص ص)، ومثاله: (فَجـْرْ)[1].

ثالثا:خصائص النّظام المقطعي العربي:

ومن هذه الخصائص ما يلي:[2]

أ -أقل ما تتركب منه الكلمة العربيّة هو مقطع واحد، مثل حروف الجرّ: بِــ - لِــ ، وأكثر ما تتكوّن منه هو سبعة مقاطع؛ مثل كلمة: أَنُلزِمُكمُوها وهذا النّوع من الكلمات الّتي تتألّف من سبعة مقاطع نادر في اللّغة العربيّة، وأغلب الكلمات المجرّدة لا تكاد تزيد عن أربعة مقاطع، وإذا اتّصلت بها لواحق أو سوابق يمكن أن تزيد عن أربعة.

ب -المقطع العربي لا بدّ أن يبدأ بصامت ولا يمكنه الابتداء بحركة كالإنجليزيّة والفرنسيّة.

ج - لا يجوز أن تبدأ الكلمة العربيّة بصامتين أو أكثر.

د - يقيّد في اللّغة العربيّة توالي مقطعين طويلين مفتوحين (ص ح ح) ولا يسمح بتوالي ثلاثة مقاطع منها. في كلمة واحدة مجرّدة.

فكلمة إبْراهيمْ يقيد فيها توالي المقطعين (ص ح ح + ص ح ح) بضرورة تحريك المقطع الأخير هكذا (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح + ص ح).

فعند الوقف يزول هذا التّوالي وينشأ التّركيب المقطعي إبْراهيمْ هكذا (ص ح ح +ص ح ح +ص ح ح ص)

ه - لا يقبل التّركيب المقطعي العربي أن يتجاوز أو يتوالى أكثر من صامتين وسط لكلمة. ففي الفعل (يَكْتُبُ) مثلا: هناك الكاف والتّاء في وسط الكلمة.

و - لا يجوز وقوع المقطع الخامس في صدر الكلمة العربيّة أو في حشوها. فهو مقطع خاص بحالة الوقف على آخر الكلمة. وقد يكون نسيجًا لكلمة عربيّة واحدة مثل: مصر – بيْتْ.

[1] - اللّغة وأنظمتها، نادية رمضان النجار، ص78.
[2] - علم الأصوات، كمال بشر، ص509 – 510.

ز - لا تقبل الكلمة العربيّة أن يتألّف تركيبها المقطعي من مقطع طويل مغلق (ص ح ص) بعده مقطعان من الطّويل المفتوح (ص ح ح) مثل كلمة "سَرْغَايا" الأعجميّة.

ح - لا تقبل الكلمة العربيّة أن يتألّف تركيبها المقطعي من المقطع الطّويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطعان من النّوع الثالث الطويل المغلق (ص ح ص). مثل كلمة "شابندر" الفارسيّة.

ط - لا تقبل الكلمة العربيّة أن تتألّف من المقطع الثاني الطّويل المفتوح (ص ح ح) يتلوه مقطع زائد الطّول مغلق (ص ح ص ص) مثل كلمة "جُومَرْتْ" الأعجميّة.

ي - لا يقبل النّظام المقطعي العربي توالي أربعة مقاطع من النّوع الأوّل مثل: كَتَبَ + تَ = كَتَبْتَ.

لا يجوز في اللّغة العربيّة المقطع المديد المغلق (ص ح ح ص)، إلاّ في حالة الوقف على الكلمة أو في وسطها، شرط أن يكون المقطع التّالي له مبتدئًا بصامت يماثل الصّامت الّذي ختم به المقطع السّابق.

وهذه الحالة الأخيرة هي الّتي عبّر عنها اللّغويّون القدماء بالتقاء السّاكنين وهو أن يكون الأوّل حرف ليّن والثاني مدغما في مثله، ومثاله هامَّتان، والمقطعان اللّذان يعنياننا هُنا هو (هامْمَـ) (ص ح ح ص + ص ح)، بحيث ختم المقطع الأوّل بالصّامت الّذي بدأ به المقطع التّالي وهو (مْـ).

رابعا:المقطع عند ابن جنّي:

لقد ذكر ابن جنّي كلمة المقطع عند حديثه عن مخارج الحروف فقال: "اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلاً متّصلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمّى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[1]، كما ذكر أيضا كلمة المقاطع في قوله: "ألاَ ترى أن العناية في الشّعر إنّما هو بالقوافي لأنّها المقاطع، وفي السّجع كمثل ذلك."[2].

[1] - سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي، مج1/ص19.
[2] - الخصائص، ابن جنّي، ج1/ص84.

وإذا حلّلنا هذين النّصّين يتّضح لنا أنّ ابن جنّي استعمل كلمة مقطع ومقاطع لمفهوم غير الّذي يعرفه ويفهمه العلماء المحدثون.

فالمقطع عند ابن جنّي – في النّصّ الأوّل – هو المكان الذي يقطع فيه الهواء عند خروجه من الرّئتين ومروره بالحلق والفم والشّفتين. وهذا المفهوم مماثل للمفهوم اللّغوي الّذي ينصّ على أنّ المقطع هو الموضع الّذي يقطع فيه النّهر من المعابر.

وفي النّصّ الثاني جاء مفهوم المقطع بمعنى (الآخر): مقطع كلّ شيء آخره. فمقطع الشّعر القوافي، ومقطع النّثر السّجع.

فالمفهومان إذن بعيدان عن المفهوم الحديث لكلمة المقطع، وخلاصة القول هنا أن المقطع كمصطلح لم يكن له مكان بارز وواضح المعالم عند ابن جنّي، بل تحدّث عنه بمفهوم مغاير للمفهوم الحديث لهذا المصطلح، وبهذا توصّلنا إلى أنّ ابن جنّي أورد مصطلح المقطع للدّلالة على مخرج الحرف، لا للدّلالة على المفهوم الحديث للمقطع، إلاّ أنّنا نرى أنّ ابن جنّي كان بتعليلاته لكثير من الصّيغ المرفوضة في اللّغة العربيّة يؤكّد على أنّه كان يفقه فكرة المقاطع، وإن لم يذكرها.

فابن جنّي كان يعلّل لكثير من الصّيغ المرفوضة بظواهر لغويّة أخرى كالإبدال والإدغام والإعلال وعدم التقاء السّاكنين وغيرها، وهذه الظّواهر قد لقيت مكانها في مجال التّعليل الصّوتي الحديث.

ونقول أنّ ابن جنّي كان يفقه فكرة المقطع، لأنّه كان يعرف أنّ للعربيّة نظمًا تسير عليه، وتبني صيغها وِفْقَهُ، لذلك علّل للصّيغ المرفوضة بظواهر لغويّة كالإعلال والإدغام وغيرها من الظّواهر تارة، وتارة أخرى بتعليلات صوتيّة بسيطة كالثقل وقوّة الكلفة في النّطق.

ومن هُنا يقول ابن جنّي: "إنّ ياء نحو ميزان، وميعاد، انقلبت عن واو ساكنة، لثقل الواو السّاكنة بعد الكسرة، وهذا أمر لا بأس في معرفته، ولا شكّ في قوّة الكلفة في النّطق به. ويضيف قلب الياء في موسِر وموقِن واوًا؛ لسكونها وانضمام ما قبلها. ولا توقف في ثقل الياء السّاكنة بعد الضّمّة؛

لأن حالها في ذلك حال الواو السّاكنة بعد الكسرة. ثمّ يقول في ذلك: وهذا – كما نراه – أمر يدعو الحسّ إليه، ويحدو طلب الاستخفاف عليه ".[1]

من هذا القول نستنتج أنّ ابن جنّي كان يفقه أنّ هناك نظامًا يقيد الصّيغ العربيّة؛ فعلّل على رفض مِوْعَاد بثَقل الواو السّاكنة بعد الكسرة، وعلى رفض مُيسِر لثقل الياء بعد الضّمّة. وقال أنّ هذا الرّفض أمر يدعو الحسّ إليه، ولتوضيح أكثر نشير إلى مثال آخر:

يقول ابن جنّي: " ومن ذلك تسكينهم لام الفعل إذا اتّصل به علم الضّمير المرفوع، نحو ضَرَبْتُ وضَرَبْنَ وضَرَبْنَا، وذلك أنّهم أجرو الفاعل هنا مجرى الجزء من الفعل فكره اجتماع الحركات الّذي لا يوجد في الواحد. فاسكنوا اللاّم اِصطلاحًا للفظ فقالوا: ضَرَبْتُ "[2].

إذن ابن جنّي علّل تسكين لام الفعل عند اتّصاله بعلم الضّمير المرفوع بكره اجتماع الحركات، أمّا الدّرس الحديث فيعلّل تسكين اللاّم هُنا بعدم جواز توالي أربعة مقاطع من النّوع الأوّل في النّظام المقطعي العربي.

[1] - الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمد علي النجار، ج1/ص49.
[2] - المصدر نفسه. ج1/ص273.

المبحث الأوّل: النّبر والتّنغيم عند ابن جنّي.

I. النّبر: Strees

أولا: تعريفـــــه:

لغـــــــــــــة: النبر بالكلام الهمز. يقال: وكلّ شيء رفع شيئًا فقد نَبَرَهُ، والنبر مصدره نَبَرَ الحرف يَنْبُرُهُ نَبْرًا هَمَزَهُ. وفي الحديث قال رجل للنّبيّ صلى الله عليه و سلـــم : يا نبيء الله، فقال: لا تنبر باسمي. أي لا تهمز.

وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلـــم: إنّا معشر قـريش لا ننبر. والنّبر همز الحرف. قال ابن الأنباري: النّبر عند العرب ارتفاع الصّوت. يقال: نبـر الرّجل نبره إذا تكلّم بكلمة فيها علو.[1]

وجاء في المعجم الوسيط: "نَبَـرَ الشّيء نَبْـرًا رَفَعَهُ. ويقال نبر في قراءته أو غنائه: رفع صوته. ونبر الحرف: همزه. والنّبر في النّطق: إبراز أحد المقاطع الكلمة عند النّطق".[2]

اصطلاحًـــــــــا: هو وسيلة صوتيّة تبرز بواسطتها عنصرًا من السلسلة الصّوتيّة، قد يكون مقطعًا أو لفظا أو جملة، والنّبر يكون بواسطة الشّدّة في النّطق أو ارتفاع النّغمة أو المدّ. [3] أي أنه يعطي ضغطا على هذا المقطع.

أمّا عند إبراهيم أنيس فيرى أنّ النّبر هو نشاط في جميع أعضاء النّطق في وقت واحد. فعند النّطق بمقطع منبور، نلحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النّشاط؛ إذ تنشط عضلات الرّئتين نشاطًا كبيرًا، كما تقوى حركات الوترين الصّوتين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرّب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات. ويترتّب عليه أن يصبح الصّوت عاليا واضحًا في السّمع.

---

[1] - المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، ص897. مادّة (ن ب ر).
[2] - لسان العرب، ابن منظور، ج14/ص15 – 16، مادة (ن ب ر).
[3] - الصّوتيات والفونولوجيا، مصطفى حركات، المكتبة العصريّة، صيدا بيروت، ط1، 1418هـ/1998، ص40.

ويعرّفه كمال بشر بأنّه يعني: "نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيًّا من بقيّة المقاطع الّتي تجاوره". ويضيف "النّبر يتطلّب عادة بدل طاقة في النّطق أكبر نسبيًّا، كما يتطلّب من أعضاء النّطق مجهودًا أشد".[1]

وعلى ما يبدو فإنّ جميع هذه التّعريفات يتّفق على أنّ النّبر يتطلّب جهدا عضليّا إضافيّا على الجهد العادي لنطق الأصوات.

والدّارس للنّبر في اللّغات يلحظ أنّ النّبر لاَ يستخدم في كلّ اللّغات للتّفريق بين المعاني. وبالتّالي فهو ليس فونيما في كلّ اللّغات.

وأمثلة اللّغات النّبريّة فالإنجليزيّة مثال جيّد لها وتتميّز هذه اللّغات باستخدامها النّبر كفونيم، فيكون موضع النّبر فيها حرًّا، ويستخدم للتّفريق بين المعاني أو الصّيغ عن طريق تغيير مكانه.[2]

ثانيا:درجات النّبر:[3]

تنقسم درجات النّبر إلى ثلاثة أقسام وهي:

- النّبر القوي والارتكاز القوي: ويكون ضغطه وأثره السّمعي على مقطعه الصّوتي أقوى وأوضح من أيّ مقطع آخر ومثاله كلمة (ضَرَبَ) عند النّطق بها نجد أنّ (ضَ) بنبر وارتكاز أكبر من (رَ) ومن (بَ).
- النّبر الوسيط والارتكاز الثانوي أو الوسيط: ويكون ضغطه وأثره السّمعي على مقطعه الصّوتي أقلّ من النّوع الأوّل. وذلك نحو كلمة (مُسْتَحِيل) نجد أنّ (مُسْ) قد ظهر عليها أثر النّبر وهو وسيط.
- النّبر الضّعيف أو الارتكاز الضّعيف: ويكون ضغطه وأثره أقلّ وأدنى من النّوع الثاني.

[1] - علم الأصوات، كمال بشر، ص512 – 513.
[2] - دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص222.
[3] - علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار النّهضة العربيّة، بيروت لبنان، دط، دت، ص190.

ثالثا:وظائف النّبـــر:

تتوقّف وظيفة النّبر على الدّلالة التّمييزيّة، وهُنا يمكن أن نعدّ النّبر سمة صوتيّة وظيفيّة لها قيمة دلاليّة في التّوجيه، إذا استطاع أن يحقّق الغرض القصدي، وهنا يعتبر من الملامح التّمييزيّة، أو التّنوّعات الصّوتيّة الّتي تنوّع الدّلالة ويعتمد عليها السّياق، وهذا لا يتحقّق إلاّ في مواضع معيّنة. أمّا إذا أخفق في توجيه الدّلالة، فشأنه شأن فونيمات اللّغة الأخرى.[1]

وللنّبر أيضا وظائف أخري منها:

- **الوظيفة المميِّزة**[2]: بواسطة تحديد أماكن النّبر يمكن تحديد هويّة الكلمات أسماء هي أم أفعال، وكذا معانيها المتنوّعة. وهذه الوظيفة تظهر في اللّغات النّبريّة الّتي يعدّ فيها النّبر فونيما.
- **الوظيفة المعيّنة:** وهي تابعة للّغات غير النّبريّة كاللّغة التّشكيليّة التي يكون النّبر فيها في المقطع الأوّل دائمًا، وهذا يساعدنا على تعيين بداية الكلمة ونهايتها على مستوى الكلام المتّصل.
- **الوظيفة الإدغاميّة**: ومفادها أنّ النّبر يساهم في إبراز القيمة التّعبيريّة لبعض أجزاء الجمل الّتي يلحق بها.[3] وتنوّع النّبر ودرجاته في الجملة يفيد التّأكيد أو المفارقة، حيث ينتقل النّبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان التّأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة.[4]

رابعا:النّبر في اللّغة العربيّة:

لم يدرس النّبر قديمًا – إذ لم نجد له في كتب النّحو واللّغة أيّة إشارة – دراسة علميّة كالّتي استجدّت في الدّراسات اللّغويّة الحديثة، ولهذا اختلف المحدثون في وجوده في اللّغة العربيّة أو عدم وجوده. فنجد مثلاً أنّ كارل بروكلمان يقول: "في اللّغة العربيّة القديمة، يدخل نوع من النّبر، تغلب عليه الموسيقيّة، ويتوقّف على كمّيّة المقطع، فإنّه يسير من مؤخّرة الكلمة نحو مقدّمتها حتّى يقابل مقطعًا طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنّ النّبر يقع على المقطع الأوّل منها ".[5]

---

[1] - الأصوات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء، عمان، ط1، 2010م/1431هـ، ص242.
[2] - محاضرات في اللّسانيّات التّاريخيّة والعامّة، زبير دراقي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، دت، ص93.
[3] -المرجع السابق، ص94.
[4] - علم الأصوات، كمال بشر، ص515.
[5] - علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، علي حسن مزيان، ص104.

وممّن عارضوا فكرة وجود النّبر في اللّغة العربيّة (فنري فليش) بقوله: "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تمامًا لدى النّحاة العرب، بل لم نجد له اسما في سائر مصطلحاتهم"[1].

لكن عدم ذكر النّبر عند النّحاة العرب لا يعني أنّ اللّغة العربيّة خاليّة من النّبر، وقد نوّهنا لعلاقة النّبر بالمقطع الصّوتي، ولمَّا كان القدماء قد أغفلوا المقطع تصريحًا، كذلك أغفلوا النّبر.

بالفعل أنّ النّحاة لم يقعدوا للنّبر، كما قعّدوا لقضايا النّحو والصّرف، فيقول إبراهيم أنيس: "ليس لدينا من دليل يهدينا إلى مواقع النّبر في اللّغة العربيّة كما كان ينطبق بها في العصور الإسلاميّة الأولى؛ إذ لم يتعرّض له أحد من المؤلّفين القدماء".[2]

إنّ عدم دراسة النّبر في عصر الفصاحة لم يقف حاجزًا أمام المحدثين، بل عمد هؤلاء المحدثين إلى القراءات القرآنيّة على لسان القرّاء، لأنّها هي الممثلة وإلى حدّ كبير للنّطق العربي الفصيح. واستنبطوا على هديها مواضع النّبر في اللّغة العربيّة.

ومن بين هؤلاء العلماء إبراهيم أنيس الّذي قام بتلخيص مواضع النّبر في العربيّة بقوله: "لمعرفة مواضع النّبر في الكلمة العربيّة، ينظر أوّلاً إلى المقطع الأخير فإذا كان من النوعين الرّابع والخامس، كان هو موضع النّبر، وإلاَّ نظر إلى المقطع الذي قبل الأخير فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنّه موضع النّبر، أمّا إذا كان من النّوع الأوّل، نظر إلى ما قبله فإن كان مثله أي من النّوع الأوّل أيضا، كان النّبر على هذا المقطع الثالث حين نعدّه من آخر الكلمة. ولا يكون النّبر على المقطع الرّابع حين نعد من الآخر إلاّ في حالة واحدة وهي أن تكون المقاطع الثلاثة الّتي قبل الأخير من النّوع الأوّل"[3].

هذه هي مواضيع النّبر في الكلمة، إلاّ أنّه قد يعتري الكلمة بعض الأحوال الّتي تغيّر هذا الموضع، من ذلك:[4]

- الاشتقاق: نحو (كَتَبَ) يكون النّبر على الكاف، فإذا قلنا (يَكْتُبْ) كان النّبر على التّاء.
- مع أحرف الجزم: (يَكْتُبُ) النّبر فيها على التّاء، و(لم يَكْتُبْ) النّبر فيها على الكاف.

[1] - علم الأصوات بين القدماء و المحدثين، ص103.
[2] - الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص172.
[3] - المرجع السابق، ص173.
[4] - اللّغة وأنظمتها، نادية رمضان النجار، ص81 – 82.

-عند إسناد الفعل إلى الضّمائر: مثال في (كَتَبَ) النّبر على الكاف، وفي (كَتَبَتْ) و(كَتَبْنَا) النّبر على التّاء.

-مع أحرف العطف: مثل (سَارِعُوا) النّبر على ألف المدّ من (سا). وفي (وَسَارِعُوا) نبر ثانوي على (وَ)، ونبر أوّلي على (ر)، فتصبح كأنّها كلمتان وهما (وَسا) و(رعوا).

أمَّا فيما يخصّ النّبر على مستوى الجملة أو التّركيب، فللمتكلّم الاختيار الأكبر للكلمة الّتي سيعطيها نبرًا أقوى وأعلى، وهذا على حسب المعنى الّذي يريد أن يوصله للسّامع.

وفي جملة (هل سافر أخوك أمس؟) مثلا؛ إذا كان النّبر على كلمة (سافر) كان الشّكّ في الحدث (السّفر)، وإذا كان النّبر على (أخوك) كان الشّكّ في الفاعل، وإذا كان النّبر على (أمس) كان الشّكّ في الزّمن، وهكذا يظهر أنّ اختلاف مواضع النّبر يؤدّي إلى التّفريق بين المعاني، وتعيين مقصد المتكلّم.

وبما أنّ النّبر على مستوى الجملة واختلاف مواضعه يؤدّي إلى تغيير المعنى يمكننا القول أنّ اللّغة العربيّة لغة نبريّة على مستوى الجملة.

خامسا:النّبر عند ابن جنّي:

رغم ورود مصطلح النّبر في البحوث الصّوتيّة القديمة، إلاّ أنّه كان يعني الهمز؛ أي تحقيق نطق الهمزة. ولم يدرس على أنّه الضغط على بعض مقاطع الكلام.

أمّا ابن جنّي فقد جاء في كتابه الخصائص في (باب في مطل الحركات): "وإذا فعلت العرب ذلك[1] أنشأت عن الحركة حرفا من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضّمّة الواو"[2]. ثمّ يمثل لذلك ويقول: والألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه الفراء عنهم: "أكلت لحما شاة: أراد لحم شاة، فتمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا"[3].

[1] - ذلك أي: إذا مطلت الحركات.
[2] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار، ج3/ص121.
[3] - المصدر نفسه، ج3/ص123.

ويضيف: "ومن إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصّياريف والمطافيل والجلاعيد" [1]، والمراد بها الصّيارف والمطافل و الجلاعد.

أمّا عن مطل الضّمّة فيقول: "ومن مطل الضّمّة القرنفول" [2]، والمراد القرنفل وذكر ابن جنّي أيضا أنّ "الحركات عند التّذكّر يمطلن حتّى يفين حروفًا وذلك كقولهم عند التّذكّر مع الفتحة قُمْتَ: قُمْتَا، أي قمت يوم الجمعة ونحو ذلك. ومع الكسرة قمتي: أي أنتِ عاقلة، ونحو ذلك. ومع الضّمّة قُمْتُو، في قُمْتُ إلى زيد، ونحو ذلك"[3].

فالمَطل عند ابن جنّي، فيما أورد: هو زيادة قوّة الارتكاز بالإشباع أو التّضعيف، إذا علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضّمّة. والقصد من هذا الإشباع زيادة الضّغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السّمع؛ لتحقيق غرض قصدي.[4]

وهناك في كتاب الخصائص إشارة أخرى إلى النّبر حين يتكلّم ابن جنّي عن حذف الصفة إذ يقول: "وقد حذفت الصّفة ودلّت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب [5] من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنّما حذفت فيه الصّفحة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم ما يقول مقام قوله : طويل أو نحو ذلك"[6].

فكلمات ابن جنّي الواردة في هذا النّصّ: التّطويح والتّطريح والتّفخيم والتّعظيم تشير إلى النّبر ويتّضح هذا هذا من خلال معانيها. فكلمة التّطريح تعني تطويل الشّيء ورفعه وإعلائِه. والتّطويح من طوح به ذهب هُنا وهناك، وأمَّا التّفخيم فهو عند اللّغويّين المحدثين ظاهرة صوتيّة تحدث عند حركة عضويّة تعطي للصّوت قيمة صوتيّة مفخّمة.

[1] - الخصائص، ابن جني ،ج3،ص123 .
[2] - المصدر السابق،نفس الصّفحة.
[3] - المصدر نفسه، ج3/ص129 – 130.
[4] - الأصوات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، ص241.
[5] - يقصد به سيبويه.
[6] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار، ج2/ص370 – 371.

ومن خلال عرضنا لمفاهيم هذه الكلمات نجد اتّفاقًا لهذه المفاهيم مع مفهوم النّبر بمعناه الحديث، فهو أيضا عمليّة عضليّة يقصد منها ارتفاع الصّوت وعلوّه[1].

ويضيف ابن جنّي قائلاً: "وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأمّلْتَهُ. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا ! فتزيد من قوّة للّفظ بـ : (الله) هذه كلمة، وتتمكّن في تمطيط اللاّم وإطالة الصّوت بها وعليها أي رجلاً فاضلا أو شجاعًا أو كريما أو نحو ذلك.

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكن الصّوت بـ (إنسان) وتفخّمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضّيق، قلت: سألناه وكان إنسانا! وتزوي وجهك وتقطبه، فيُغْني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما ولحزا أو مبخلاً أو نحو ذلك"[2].

فتعيين ابن جنّي اللاّم في كلمة (رجلا) لتكون محلاً للتّمطيط والإطالة يدلّ بوضوح على أنّ هذه القوّة والتّمكّن في النّطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، و إنما على جزء منها، وكذلك يكون الجزء المنبور أطول منه حين يكون غير منبور. وهناك علاقة بين النّبر وطول المقطع وهو ملحظ لم يفت ابن جنّي التّنبيه عليه بقوله: "وإطالة الصّوت بها".

وهكذا يكون ابن جنّي قد أدرك النّبر بمفهومه الحديث من حيث طول الصّوت وعلوّه وقوته. وإن لم يذكره بلفظه، ووصفه دلاليّا أغنى عن التصريح بالأوصاف[3].

II. ***التّنغيـــم: Intonation***

أولا:تعريف التّنغيم:

يعرّف التّنغيم على أنّه نوع من موسيقى الكلام، بواسطته يتسنّى للدّارس أن يعرف كثيرا من خصائص الكلام، كالتّفريق بين الجملتين المثبتة والاستفهاميّة ولاسيما إذ لم توجد صيغ نحويّة خاصّة تقوم بهذا التّفريق. وأكثر ما يوجد في اللّهجات العامّيّة.[4]

[1] - الدلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيّة، صالح سليم عبد القادر الفاخري، المؤسّسة الثقافيّة الجامعيّة، الإسكندرية مصر ،دط،2007،ص197.
[2] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار، ج2/ص371.
[3] - علم اللّسان العربي، عبد المجيد مجاهد،الشّركة العربيّة المتّحدة، القاهرة مصر، دط، 2010م، ص33 -34
[4] - المعجم المفصل في علوم اللّغة، محمّد التّونجي وراجي الأسمر، مج1/ص207.

ويعرفه تمام حسان بأنّه: "ارتفاع الصّوت وانخفاضه أثناء الكلام" [1]، ويسمّيه الدّكتور إبراهيم أنيس موسيقى الكلام فيقول: ''الإنسان حين ينطلق بلغته لا يتبع درجة صوتيّة واحدة في النّطق بجميع الأصوات، فالأصوات الّتي يتكوّن منها المقطع الواحد قد تختلف في درجة الصّوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ومن اللّغات ما يجعل درجة الصّوت أهمّيّة كبرى، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعًا لاختلاف درجة الصّوت حين النّطق بها.[2]

ثانيا:درجات التّنغيـــم:[3]

لقد حصر كمال بشر درجات التّنغيم في نغمتين اثنين، وكان هذا التّقسيم مبنيًّا على اعتبار نهاية المنطوق فقط، وهتين النّغمتين هُما:

أ -النّغمة الهابطة (Falling tonne): وسمّيت كذلك الاتّصاف بالهبوط في نهايتها.

ومن أمثلتها: الجمل التّقريريّة.

مثال: محمود في البيت، تنطلق كلمة البيت بنغمة هابطة.

ب -النّغمة الصّاعدة (Rassing tonne): وسمّيت كذلك لصعودها في نهايتها.

ومن أمثلتها: الجمل الاستفهاميّة الّتي تستوجب الإجابة بلاَ أو نعم

مثل: محمود في البيت؟ تنطق كلمة البيت هنا بنغمة صاعدة.

وقد أضاف تمام حسان: (النّغمة المسطّحة) وقال: ''لا هي بالصّاعدة ولاَ هي بالهابطة''. وتكون عند وقف المتكلّم قبل تمام المعنى ومن أمثلتها الوقف عند كلّ فاصلة مكتوبة في الآيات التّاليّة: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (7) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (8) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (9) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾[4].

[1] - مناهج البحث في اللّغة، تمام حسان، ص198.
[2] - الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، ص176.
[3] - علم الأصوات، كمال بشر، ص534 – 537.
[4] - القيامة، الآية 7 -10.

فللوقف لى (البصر) و(القمر) أوّلا و(القمر) ثانيّا وقف على معنى لم يتم، فتظلّ نغمة الكلام مسطّحة، أمّا الوقف عند المفرّ فالنّغمة فيه هابطة لأنّه وقف عند تمام معنى الاستفهام.[1]

ثالثا:وظائف التّنغيم وأهمّيّته:

جاء في البيان والتّبيين:

"والصّوت هو آلة اللّفظ، والجوهر الّذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولن تكون حركات اللّسان لفظًا، ولا كلامًا، إلاّ بالتّقطيع، والتّأليف، وحسن الإشارة، باليد، والرّأس، ومن حسن البيان باللّسان مع الّذي يكون، مع الإشارة من الذّلّ والشّكل والتَّفتُّل والتّثنّي"[2].

وإشارة الجاحظ، دليل أهمّية التّنغيم في السّياقات التّنظيميّة للمتكلّم، وهي بعد ذلك، التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصّوتي الّذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

يلعب التّنغيم دورًا فاعلاً في التّقرير، والتّوكيد، والتّعجّب، والاستفهام، والنّفي، والإنكار، والتّهكّم، والزّجر، والموافقة والرّفض والقبول وغيرها من أنواع الفعل الإنساني، كالغضب، واليأس، والأمر والفرح، والحزن، وبيان الحال، الغنى والفقر، والشّكّ واليقين والإثبات واللاّمبالاة والإقناع عن طريق التّلوين في الدّرجات التّنغيميّة[3].

ومن وظائف التّنغيم الوظيفيّة النّحويّة، إذ تعتبر "الوظيفة الأساسيّة للتّنغيم، فهي العامل الفاعل في التّمييز بين أنماط التّركيب والتّفريق بين أجناسِ النّحويّة " [4]، فالتّنغيم يمكّننا من التّفريق بين أنماط الجمل من تقريريّة واستفهاميّة وغيرها.

رابعا:التّنغيم عند ابن جنّي:

قبل الحديث عن مدى وعي ابن جنّي ومعرفته للتّنغيم ودوره، ينبغي أن نشير هُنا إلى أنّ التّنغيم وثيق الصّلة بالنّبر. فلا يكون التّنغيم إلاّ على مقطع منبور.

---

[1] - اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمام حسان، ص230.
[2] - البيان والتّبيين، أبو عمرو الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، دط، 1948 – 1950،ص
[3] - الأصوات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، ص257.
[4] - علم الأصوات، كمال بشر، ص541.

وهاهو تمام حسان يقول: "إنّ هبوط النّغمة أو صعودها أو تحوّلها عن المستوى السّابق في وسط الكلام أو في آخره، لا يكون إلاَّ متفقا مع النّبر، فلا تتحوّل النّغمة هذا التّحوّل إلاَّ على مقطع منبور. وهذه الصّلة بين النّبر والتّنغيم لا يمكن انفكاكها. ولذلك يكثر أن يقف المرء عند أحد المعاني باحثا عمَّا إذا كان هذا المعنى وظيفة النّبر بمفرده أو التّنغيم بمفرده. ثمّ لا يستطيع الجزم بأنّه وظيفة أحدهما على انفراد"[1].

وتمام حسان على حقّ عندما قال أنّ المرء يقف عند أحد المعاني باحثا عمَّا إذا كان للنّبر أو للتّنغيم. فكثيرا ما نجد نص ابن جنّي في حديثه عن(حذف الصّفة) شاهدا على وعيه بظاهرة النّبر تارة[2]، وعلى وعيه بظاهرة التّنغيم تارة أخرى[3].

ولنا أن نقول أنّ هذا النّصّ شاهد على وعي ابن جنّي بالظّاهرتين معًا، فالتّنغيم أثناء أدائه لوظيفته الدّلاليّة السّياقيّة عادة ما يصاحبه بنبر قويّ أو ظواهر خارجيّة كالإشارات الجسميّة.

ونقف على نصّ آخر لابن جنّي يؤكّد على أنّه كان على وعي بظاهرة التّنغيم في العربيّة، ودورها الكبير في تحديد دلالات الكلام. وذلك تحت عنوان (باب في نقص الأوضاع إدا ضامها طارئ عليها) يقول فيه: "ومن ذلك لفظ الاستفهام إذا ضامه معنى التّعجّب ستحال خبرا وذلك قولك: مررت برجل أي رجل، فأنت الآن مخبرا بتناهي الرّجل في الفضل ولست مستفهما، وكذلك مررت برجل أيما رجل لأنّ ما زائدة، وإنّما كان كذلك لأنّ أصل الاستفهام الخبر، والتّعجّب ضرب من الخبر، فكأنّ التّعجّب لمّا طرأ على الاستفهام إنّما أعاده إلى أصله من الخبريّة. ومن ذلك لفظ الواجب إذا لحقه همزة التّقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النّفي عاد إيجابًا. وذلك قوله تعالى: : ﴿... أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ...﴾[4]؛ أي: ما قلت لهم، وقوله تعالى:﴿... قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ...﴾[5]؛ أي: لم يأذن لكم. وأمّا دخولها على النّفي كقوله تعالى: ﴿... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ...﴾؛ أي: أنا كذلك".[6]

[1] - اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمام حسان، ص230.
[2] - علم اللّسان العربي، عبد المجيد مجاهد، ص33.
[3] - علم الأصوات، كمال بشر، ص551.
[4] - سورة المائدة، الآية 116.
[5] - سورة يونس، الآية 59.
[6] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار ج3، ص269.

وقد أشار كمال بشر إلى كلمة النّغم الواردة في كلام ابن جنّي في مقدّمة كتابه سرّ صناعة الإعراب حين قال: "أعني علم الأصوات والحروف له تعلّق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنّغم"[1]، فالتّعبير بمصطلح (النّغم) فيه دلالة واضحة على إدراكه أنّ الكلام المنطوق يصدر منغّمًا وأنّ هذا التّنغيم جزء لا يتجزّأ من خواصّ الكلام.[2]

وخلاصة القول أنّ ابن جنّي وإنْ لم يستعمل مصطلح التّنغيم إلاّ أنّ كلامه تضمّن مفهومه، ممّا دلّ على وعيه به، ومعرفته لدوره في عمليّة الفهم والإفهام.

[1] - سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي ، مج1، ص22.
[2] - علم الأصوات، كمال بشر، ص550.

المبحث الثاني: المماثلة والمخالفة عند ابن جنّي.

I. المماثلة: Assimilation

أوّلا: تعريفهـــــا:

لغـــــــــــة: جاء في لسان العرب: "مِثْلُ كلمة تسوية. يقال هذا مِثْلُهُ أو مَثَلُهُ كما يُقال شِبْهُهُ أو شَبَهُهُ بمعنى".[1]

اصطلاحـــــا: المماثلة تعني تأثر صوت بآخر نتيجة مجاورته له، تأثرًا يؤدّي إلى تقارب في الصّفة أو المخرج؛ تسهيلاً لعمليّة النّطق واقتصادًا للجهد العضلي لتحقيق الانسجام الصّوتي.[2]

ويعرّفها أحمد مختار عمر بقوله: "المماثلة هي تلك التّعديلات التّكيّفيّة للصّوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى. أو هي تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إمَّا تماثلا جزئيًّا أو كلّيًّا ".[3]

ويتّضح ممّا سبق أنّ الهدف من المماثلة الصّوتيّة هو تعاون أعضاء النّطق في الحلق نوع من الإنسجام الصّوتي أثناء النّطق، فلا يكون هناك صوت شاذ عن صوت آخر ولا حركة مناقضة لحركة أخرى، فيِدّي ذلك إلى نوع من التّوازن والتّوافق، فيُيَسّر عمليّة النّطق ويقتصد في الجهد العضلي الّذي يبذله الإنسان في النّطق.[4]

ثانيّا: أنواع المماثلة:[5]

تنقسم المماثلة إلى :

1 -المماثلة التقدّميّة المباشرة الكلّيّة: ومن أمثلتها:

---

[1] - لسان العرب، ابن منظور، ج13/ص18. مادة (م ث ل).
[2] - أصول ثراثيّة في اللّسانيّات الحديثة، كريم زكي حسام الدّين، دار الرّشاد، ط3، 1421هـ/2001م، ص172.
[3] - دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص378.
[4] - أثر الانسجام الصّوتي في البنية اللّغويّة في القرآن الكريم، فدوى محمّد حسان، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 1432هـ/2011م، ص68.
[5] - اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، استيتية سمير شريف، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 2، 1429هـ/2008م، ص93 – 97.

ـ تأثّر تاء الافتعال غالبا بالذال والصّاد والضّاد فتقلب ذالاً أو صادًا أو ضادًا.

من ذلك: اذْتَكَرَ ⟵ اذْذَكَرَ ⟵ اذَّكَرَ.

اضْتَجَعَ ⟵ اضْضَجَعَ ⟵ اضَّجَعَ.

2 ـ المماثلة التقدّميّة المباشرة الجزئيّة ومن أمثلتها:

ـ تحوّل الفتحة الّتي في الأصل غير مفخّمة إلى صوت مفخم لكونها مسبوقة بصوت مفخّم في مثل: صَـارَ ⟵ طَـارَ.

3 ـ المماثلة التقدّميّة غير المباشرة الكلّيّة ومن أمثلتها:

ـ تفخيم الدّال في (صَدَّ) حتّى يظهر في النّطق وكأنّه ضاد بتأثير الصّاد المفخّم بالإطباق. مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

4 ـ المماثلة التقدّميّة غير المباشرة الجزئيّة ومن أمثلتها:

ـ تفخيم الخاء في (صَخْر) بسبب الصّاد المفخّم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة.

5 ـ المماثلة الرّجعيّة المباشرة الكلّيّة ومن أمثلتها:

ـ انقلاب السّين إلى صاد في (بَسْطَة) لمماثلة الطّاء المفخّمة بالإطباق.

6 ـ المماثلة الرّجعيّة الجزئيّة ومن أمثلتها:

ـ تفخيم فتحة الفاء في (فَقْر) لكونها متبوعة بالقاف المضخّمة.

7 ـ المماثلة االرّجعيّة غير المباشرة الكلّيّة ومن أمثلتها:

ـ نطق السّين غير المطبق صادًا في (بِسَاطٌ) لتأثّره بالطّاء مع وجود فاصل بينهما وهو الفتحة الطّويلة.

8 ـ المماثلة الرّجعيّة غير المباشرة الجزئيّة ومن أمثلتها:

ـ تفخيم الخاء في (خَطَر) لكزنه متبوعًا بالطّاء المفخّم بالإطباق مع وجود فاصل بينهما هو الفتحة.

ثالثا: المماثلة عند ابن جنّي:

ذكر العلماء المحدثون [1] أنّ العلماء القدماء قد تفطّنوا لهذا النّوع من التّأثّر الصّوتي الّذي يحدث بين الفونيمات.

[1] ـ أثر الانسجام الصّوتي، فدوى محمّد حسان، ص69.

ومن هؤلاء القدماء بالطبع عالمنا الّذي هو محور بحثنا: ابن جنّي والّذي عالج ظاهرة المماثلة في كتابه الخصائص تحت باب (الإدغام الأصغر). وهو عنده "تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك".[1]

ولنا أن نُشير إلى بعض الأمثلة الّتي أوردها ابن جنّي عن المماثلة أو كما أطلق عليها هو الإدغام الأصغر.

لقد وجد ابن جنّي للإدغام الأصغر ضروبًا ومنها:

أ - الإمالــة: ويقول عنها: "إنّما وقعت في الكلام لتقريب الصّوت من الصّوت وذلك نحو عَالِم. ألاَ تراك قرَّبت فتحة العين إلى كسرة اللاّم بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياءط.[2]

ب -ومنها: "إذا وقعت فاء افتعل صادًا أو ضادًا أو طاء أو ظاء لها ثاؤه طاء. وذلك نحو: اصطَبَر، واضْطَرَبَ، واطّرَد، واضطَلَم. فهذا تقريب من غير إدغام فأمَّا (اطَّرد) فمن ذلك الباب أيضا، ولكن إدغامه ورد هاهُنا التقاطًا لا قصدًا"[3].

ت -ومنها: "إذا وقعت فاء افتعل زايًا أو دَالاً أو ذَالاً فتُلب تاؤه لها دالاً كقولهم: ازدانَ، وادَّكَرَ".[4]

ث -ومنها: ”إذا وقعت السّن قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادًا وذلك كقولهم في سَقَتْ: صَقَتْ، وفي السّوق: الصُّوق“.[5]

ج -ومن ذلك أيضا: "تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم مَصْدَر: مَزْدَر، وفي التّصدير: التّزدير".[6]

ومن الملاحظ أنّ الأمثلة الّتي أوردها ابن جنّي كلّها تنطوي تحت لواء المماثلة الرّجعيّة بحيث يؤثر الحرف اللاّحق في الحرف السّابق.

---

[1] - الخصائص، ابن جنّي، تح: محمّد علي النجار، ج2/ص141.
[2] - المصدر نفسه، ج2، نفس الصفحة.
[3] - المصدر نفسه، ج2، نفس الصفحة.
[4] - المصدر نفسه ،ج2، ص142.
[5] - المصدر نفسه ، ج2، ص142 – 143.
[6] - المصدر نفسه، ج2، ص144.

وخلاصة القول نشير إلى أنّ ابن جنّي قد تفطن لظاهرة المماثلة الّتي تحدث بين الأصوات. وإن لم يسمها بهذا الاسم. وأطلق عليها اسم الإدغام الأصغر. إلاّ أنّه كان يعلم بأنّها ليست مثل الإدغام. إنّما فيها ما يشبه الإدغام، وهو تقريب الصّوت من الصّوت مثلما يحدث في الإدغام المألوف.

II. المخالفة: Dissimilation

أوّلاً: تعريفهـــــا:

لغـــــــــــة: جاء في لسان العرب: ''الخالِفُ هو الكثير الخِلاف. والخِلافُ هو المضادّة. وقد خَالَفَهُ مُخَالَفَةً وخِلاَفًا. وفي المثل: إنّما أنت خِلاَفُ الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع؛ لأنّ الضبع ذا رأت الراكب هربت منه''.[1]

اصطلاحـــًا: المخالفة عكس المماثلة. وهي تعديل الصّوت الموجود في سلسلة الكلام بتَأثير صوت مجاور، ولكنّه تعديل عكسي يؤدّي إلى زيادة مدى الخلاَف بين الصّوتين.

وترجع أهمّيّتها في أنّها تظهر الخلافات الّتي لاَ غِنَى عنها، وتبرز الفونيمات في صورة أكثر استقلاليّة. ويعرّفها كريم زكي حسام الدّن بقوله: "المخالفة تعني اختلافا بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التّضعيف. وذلك بأن يتغيّر أحد الصّوتين المضعفين إلى أصوات المد الألف أو الواو أو الياء، أو أحد الأصوات المتوسّطة أو المائعة، وهي اللاّم والرّاء والنّون والميم".[2]

ومن الملاحظ أنّ قانون المخالفة يسعى إلى تسهيل عمليّة النّطق والاقتصاد في الجهد لأنّ المتكلّم عند نطقه بالصّوت المضعف يبدل جهدا عضليّا أكبر ممّا لو قلب أحد الصّوتين إلى صوت مدّ أو صوت من الأصوات المائعة.

[1] - لسان العرب، ابن منظور، ج14/ص182. مادة (خ ل ف).
[2] - أصول تُراثية، كريم زكي حسام الدّين، ص176.

ثانيا: أنواع المخالفة:

قسم العلماء المحدثون المخالفة إلى:[1]

أ -المخالفة المقبلة: وهي أن يؤثر صوت في صوت لاحق فيجعله مختلفا عنه ومن أمثلتها: إبدال الفتحة كسرة عند مجاورتها ألفًا، والهدف من ذلك تجنّب النّطق بمجموعة من الحركات المتّحدة الطّابع، وهذا يفسّر لماذا نُصب جمع المؤنّث السّالم بالكسرة بدل الفتحة. ولماذا كسرت نون المثنّى على عكس نون المذكّر السّالم الّتي فُتحت.

ب -المخالفة المدبرة: وهي أن يؤثر صوت في صوت سابق فيجعله مختلفا عنه. ومثال ذلك: جَمَّد ⟵ جَلْمَدَ، أثّرت الميم الثانيّة في الميم الأولى وحولتها إلى لاَمٍ.

ج - المخالفة المتّصلة: وتحدث بين الصّوتين الّذين ليس بينهما فاصل. ومن أمثلتها: قِرَّاط ⟵ قيراط ، اجتمع حرفان متماثلان لذلك قُلب الحرف الأوّل منها إلى ياء.

د - المخالفة المنفصلة: وتحدث هذه المخالفة بين الصّوتين الّذين بينهما فاصل مثل: اخضوضر الّتي أصلها اخْضَرْضَرَ، أبدلت الرّاء الأولى واوًا لمخالفة الرّاء الثانيّة رغم وجود الضّاد فاضلاً بينهما.

ثالثا: المخالفة عند ابن جنّي:

لقد أشار ابن جنّي لهذه الظّاهرة – أي المخالفة – في باب (قلب اللّفظ إلى لفظ بالصّنعة والتّلطّف لا بالإقدام والتّعجرف). [2] وممّا جاء في هذا قوله: "قول العرب (تسرَّيتُ) من لفظ (س رر) وقد أحالته الصّنعة إلى لفظ (س ر ي)، ومثله (قصَّيتُ أظافري) هو من لفظ (ق ص ص) وقد آل بالصّنعة إلى لفظ (ق ص ي)... وكذلك قوله (تقضّي البازي إذا البازي كسر)، وهو في الأصل من تركيب (ق ض ض) ثمّ أحاله ما عرض من استثقال تكريره إلى لفظ

[1] - ينظر: أثر الانسجام الصّوتي، فدوى محمّد حسان، ص78 – 81.
[2] - الخصائص، ابن جنّي، ج2/ص88.

(ق ض ي)... وكذلك قولهم (تَلَعَّيْتُ) من اللّعاعة [1] وأصلها (ل ع ع) ثمّ صارت بالصّنعة إلى لفظ (ل ع ي)..."[2].

ويلاحظ هُنا أنّ ابن جنّي قد اكتفى بذكر أمثلة دون أن يقدم أي تعليل لقلب لفظ إلى لفظ آخر سوى الصّنعة والتلطف، وهي بحث النّاطق العربي عن لفظ أكثر صنعة وانسجاما بين أصواته وميله إليه.

[1] - وهـــي بنـــتٌ.
[2] - الخصائص، ابن جنّي، ج2/ص90 – 91.

المبحث الثالث: القلب المكاني والتّوافق الحركي عند ابن جنّي.

I. القلب المكاني:

أوّلا: تعريفـــــه:

لغـــــــــــة: جاء في لسان العرب: "القلب تحويل الشّيء عن وجهه، وقلب الشّيء حوّله ظهرًا لبطن".[1]

اصطلاحًـــــــا: هو تبادل الأصوات المتجاورة أماكنها في السّلسلة الكلاميّة.[2]
ومعنى ذلك أنّ القلب المكاني يحدث فيه تغيير الوضع الأصلي لبعض صوامت الكلمة الواحدة، فيقدّم أو يؤخّر صامت على غيره من صوامت الكلمة من ذلك: (أيْنَق وَأنْيَق) جمع ناقة، (جاه وَوجه)، (أيِسَ وَيَئِس)، (مُكبَّل وَمكلّب).

ويعمل قانون القلب المكاني على ثلاثة محاور وهي:[3]

أ -ميل المتكلّم إلى السّهولة والتّيسير وذلك بتقديم حروف الذّلاقة العربيّة على غيرها.
ب -الهروب من المماثلة.
ت -نواتج المشكلات المتعلّقة بالكلمات المعتلّة والمهموزة.

إنّ القلب المكاني منهج يستعمله اللّغويّون العرب في تحليل بعض الألفاظ الّتي خرجت عن المنهج الأساسي المتمثل في الميزان الصّرفي، وذلك مثل كلمة أشياء جمع شيء الّتي أصلها شيئاء بوزن فعلاء؛ وبالقلب المكاني أصبحت أشياء.

ثانيا: أنواع القلب المكاني:

هناك أربعة أنواع للقلب المكاني وهي:[4]

---

[1] - لسان العرب، ابن منظور، ج11/ص243. مادّة (ق ل ب).
[2] - دراسة الصّوت اللّغوي، أحمد مختار عمر، ص335.
[3] - الفكر اللّغوي عند الع رب في ضوء علم اللّغة الحديث، رمضان منيسي عبد الله، دار النّشر للجامعات، القاهرة مصر، ط 1، 2006م، ص48.
[4] - ينظر: أثر الانسجام الصّوتي، فدوى محمّد حسان، ص243 – 248.

1 -تقديم العين على الفاء: فتصبح الكلمة على وزن (عفل)؛ ومن أمثلته:
أَيِسَ أصلها يَئِسَ على وزن (فَعِلَ)، قدّمت الهمزة على الياء فصارت أَيِسَ على وزن (عَفِلَ).

2 -تقديم اللاّم على الفاء: تصبح الكلمة على وزن (لفع) وهذا النّوع نادر، ومثاله: كلمة أشياء جمع شيء والأصل شيئاء، وأفياء جمع فيء والأصل فيئاء.

3 -تقديم اللاّم على العين: تصبح الكلمة على وزن (فلع) ومن أمثلتها: فاء، أصلها فَأَيَ على وزن (فعل) تقدّمت الياء على الهمزة ثمّ قلبت ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها فأصبحت فاء على وزن (فلع).

4 -تقديم العين واللاّم على الفاء: تصبح الكلمة على وزن (علف)، ومثالها كلمة الحادي فإن أصلها الواحد على وزن (فاعِل)، تأخّرت فاء الكلمة (الواو) إلى موضع اللاّم (الدال) فصارت (احِدُوا) على وزن (أعلف)، ثمّ قدّمت الحاء على الألف فصارت (حِادوا) ثمّ قلبت الكسرة الّتي تلي الحاء فتحة لمناسبة الألف فأصبحت (حَادُو) على وزن (عالف)، ثمّ قلبت الواو ياء لتطرّفها فأصبحت (حَادُوا)، ثمّ قُلبت الضّمّة الّتي تلي الدّال كسرة لمناسبة الياء فأصبحت (حَادي

ثالثا: القلب المكاني عند ابن جنّي:

عالج ابن جنّي ظاهرة القلب المكاني في كتابه الخصائص تحت باب (في الأصلين يتقاربان في التّركيب بالتّقديم والتّأخير).[1]

ويرى ابن جنّي أنّه إن وجد لفظان فيهما تقديم وتأخير، فأمكن أن يكونا جميعًا،أصلين ليس أحدهما مقلُوبا عن صاحبه، فهو القياس الّذي لا يجوز غيره، وإن لم يكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه، ثمّ رأيت أيهما الأصل وأيهما الفرع.[2]

[1] - الخصائص، ابن جنّي، ج2/ص69.
[2] - المصدر نفسه، ج2ص69.

وطريقةُ إلى معرفة اللّفظين أصلين أم أحدهما مقلوب عن الآخر هو البحث عن تصريفاتهما فإن كانا يتصرّفان تصرّفا واحدا كان أصلين وإن قصّر أحدهما عن تصرّف الآخر. كان أوسعها تصرّفًا أصلاً والآخر مقلوبًا عنه.

وقد أعطى ابن جنّي أمثلة عديدة يوضّح فيها ذلك ومنها:

-"ممّا تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَذَبَ وجَبَذَ. ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعًا يتصرّفان تصرّفا واحدًا نحو: جَذَبَ يَجْذُبُ جَذْبًا فهو جَاذِبٌ، والمفعول مَجْذُوبٌ، وجَبَذَ يَجْبُذُ جَبْذًا فهو جابذٌ والمفعول مجبُوذٌ"[1].

ويضيف قائلاً: "فإن جعلت مع هذا أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك، لأنّك لو فعلته لم يَكن أحدهما بأسعد بهذه الحال من الآخر"[2].

وممّا كان أحدهما مقلُوبًا عن الآخر قوله: "وذلك كقولهم: أنى الشّيء يَأْنَى وآن يئينُ. فآن مقلوب عن أنى. والدّليل على ذلك وجودك مصدر أنى بأنى وهو الإنْيُ. ولا تجد لآن مصدرًا". [3]

ومن المقلوب قولهم: "امضحَلَّ وهو مقلوب عن اضمحَلَّ. ألاَ ترى أنّ المصدر إنما هو على اضمحَلَّ وهو الإضمِحْلاَل. ولا يقولون امضِحْلاَل". [4]

-أمّا في (جاه ووَجْه) فقد ذهب إلى أنّ الفراء يرى أنّ جاه مقلوب من الوجه. وكذلك أبو علي يرى ذلك. وقال: ولمّا أعلوه بالقلب أعلُوه أيضا بتحريك عينه ونقله من فـَعْلٍ إلى فـَعَلٍ، (يريد أنه) صار من وَجْه إلى جَوْهٍ، ثمّ حرّكت عينه فصار إلى جَوَهٍ، ثمّ أبدلت عينه لتحرّكها وانفتاح ما قبلها، فصار (جاه). [5]

هذه الأمثلة الكثيرة الّتي أوردها ابن جنّي والّتي لا يمكن حصرها هي عن ظاهرة القلب المكاني.

وخلاصة القول: ابن جنّي وإن كان قد تطرّق لظاهرة القلب المكاني إلاّ أنّنا نلاحظ أوّلاً أنّه لم يطلق عليها اسم القلب المكاني، بل كان ينعتها بالقلب مطلقًا وهذا المصطلح قد يختلط مع

[1] - الخصائص،ج2/ص69 – 70.
[2] - المصدر السابق، ص70.
[3] - المصدرنفسه، الصفحة نفسها.
[4] - المصدر نفسه، ج2،ص73.
[5] - المصدر نفسه،ج2، ص76.

مصطلح القلب المراد منه الإعلال أو الإبدال. وثانيا نلاحظ أنّ ابن جنّي قد اعتمد في تفسير أمثلته والبحث عن أسباب القلب المكاني الّذي وقع فيها على الجانب الصّرفي للكلمة. وأغفل الجانب الصّوتي، الّذي له الحظّ الوفير في تفسير ظاهرة القلب المكاني.

II. التّوافق الحركي:

أوّلا: تعريفـــــه:

يعرّف كريم زكي حسام الدّين التّوافق الحركي بقوله: "هو تأثير الحركة الأساسيّة في الكلمة أو المقطع على الحركة التّاليّة أو السّابقة بالمماثلة".[1]

والتّوافق الحركي يحدث في الكلمة لتحقيق الانسجام الصّوتي من جهة، وللاقتصاد في الجهد المبذول من جهة أخرى.

وقد أطلق عليه إبراهيم أنيس مصطلح (انسجام أصوات اللّين) وهو يقول فيه: "هي ظاهرة من ظواهر التّطوّر في حركات الكلمة، فالكلمة الّتي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطوّرها إلى الانسجام بين هذه الحركات حتّى لا ينتقل اللّسان من ضمٍّ إلى كسرٍ إلى فتحٍ في الحركات المتواليّة".[2]

ثانيّا: التّوافق الحركي عند ابن جنّي:

لقد أشار ابن جنّي إلى ظاهرة التّوافق الحركي في كتابه الخصائص وذلك في باب (الإدغام الأصغر)، فقال: "تقريب الصّوت من الصّوت مع حروف الحلق نحو شِعِير وبِعير، ورِغيف، وزِئير الأسد". "ومن ذلك قولهم: فَعَل يَفْعَلُ ممّا عينه أو لامه حرف حلقي نحوسَأَلَ يَسْأَلُ وقَرَأَ يَقْرَأُ وَسَعَرَ يَسْعَرُ، وقَرَعَ يَقْرَعُ، وسَحَلَ يَسْحَلُ وسَبَحَ يَسْبَحُ. وذلك أنّهم ضارعُوا بفتحة العين في المضارع جنس حرف لحلق لما كان موضعًا منه مخرج الألف الّتي منها الفتحة".[3]

---

[1] - أصول ثراثيّة، كريم زكي حسام الدّين، ص179.
[2] - في اللّهجات العربيّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت، ص86.
[3] - الخصائص، ابن جنّي، ج2/ص143.

وجَدير بالذّكر أن نُشير إلى أنّنا قد ذكرنا باب الإدغام الأصغر في التّمثيل للمماثلة عند ابن جنّي. وها نحن نذكره هُنا للتّمثيل عن التّوافق الحركي، ومَا كان هذا إلاّ لأَنَّ التّوافق الحركي ضرب من المماثلة. وهو مماثلة تَقَعُ بين الصّوائت دون الصّوامت في حين أنّ المماثلة تقع بين الصّوامت والصّوائت معًا.

ويتّضح لنا أنّ ابن جنّي مثله مثل العرب الّذين كانوا حريصين على توافق الصّوائت في الكلمة الواحدة. وأنّهم قد أدركوا مثلاً أنّ الكسرة الّتي تلي همزة الوصل لا تتوافق مع الضّمّة الّتي تلي الصّامت الثالث لذلك قلبوا الكسرة ضمّة لتترافق مع الضّمّة.

المبحث الرّابع: الإدغام عند ابن جنّي.

أوّلا: تعريفـــــــه:

لغـــــــــــة: الإدغام هو الإدْخال. وهو إدخال اللّجام في أفواه الدّواب. وهو إدخال حرف في حرف آخر، يقال: أَدْغَمْتُ الحرف اِدَّغَمْتُهُ على اِفْتَعَلْتُهُ.[1]

اصطلاحًـــــا: الإدغام في اِصطلاح النّحويين والتّصريفيين ضدّ الإظهار وهو النّطق بحرفين – مثلين أو متقاربين – حرفًا واحدًا مشدّدًا عليه، وغالبا ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكنًا والثاني متحرّكًا دون أن يكون بينهما فاصل، ثمّ تتمّ عمليّة إدغام السّاكن الأول في الثاني. ويُعرّفه إبراهيم أنيس بقوله: "الإدغام هو فناء الصّوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصّوتين صوتًا واحدًا كالثاني و لهذا تأثر رجعي".[2]

نستنتج ممّا سبق أنّ الإدغام هو إدخال حرف في حرف آخر والنّطق بالحرفين من مخرج واحد ودفعة واحدة، فالإدغام إذن هدفه اختصار الجهد العضلي الّذي يبذله المتكلّم عند النّطق بحرف واحد مرّتين دون إدغام، وهذا فيه ثقل على اللّسان لذلك لجأ المتكلّم العربي إلى الإدغام طلبًا للتّخفيف والسّهولة في النّطق.

ثانيّا: الإدغام عند ابن جنّي:

تعدّ ظاهرة الإدغام في اللّغة العربيّة ظاهرة صوتيّة بحتة؛ لأنّها تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، فيؤثر صوت في آخر فيمنحه صفاته كلّها أو بعضها، وبهذا يكون الإدغام.

وقد تفطّن العلماء القدماء وعلماء القراءات القرآنيّة إلى هذه الظّاهرة الصّوتيّة، فاهتمّوا بها، ورصدوا أوجهها في اللّهجات والقراءات المختلفة، ووضعوا لها الكثير من الضّوابط والقواعد، كما اهتمّوا بتفسيرها وتعليل أسباب حدوثها، ووضعوا حدودًا لها وشروطا خاصّة بها، وحدّدوا متى يكون الإدغام واجبًا، ومتَى يكون جائزًا، ومتى يكون ممتنعًا.

[1] - لسان العرب، ابن منظور، ج4/ص358. مادة (د غ م).
[2] - الأصوات اللّغوية، إبراهيم أنيس، ص188.

وإذا عدنا إلى المصنّفات اللّغويّة والنّحويّة القديمة لوجدنا أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي هو أوّل من تعرّض لظاهرة الإدغام في معجمه العين، أو في أقواله الّتي نسبها غليه تلاميذه وخاصّة سيبويه. كما يعدّ هذا الأخير أول من بحث في ظاهرة الإدغام من جميع وجوهها بتفصيل وتحليل وتعليل كبير، وذلك لأنّ البحث الصّوتي عند سيبويه كان وسيلة من وسائل التّحليل الصّرفي في المقام الأوّل.[1]

ويعدّ ابن جنّي من بين العلماء الّذين تفطّنوا لهذه الظّاهرة، ويبدُو أنّه كان أكثرهم إدراكًا لطبيعة هذه الظّاهرة اللّغويّة كظاهرة صوتيّة، فهو يرى أنّ الإدغام تقريب صوتي.[2]

وقد ذكر ابن جنّي الإدغام في مواطن عديدة من كتبه، من ذلك ما جاء في كتابه الخصائص.[3] إذ قام بتحديد مفهوم الإدغام بقوله: "هو تقريب صوت من صوت".

فالإدغام عنده ظاهرة تحدث بين الأصوات وتعني التّقريب الصّوتي. ثمّ حدّد أضربه: وجعلها ضربين هُما:

- **إدغام المتماثلين**: وهو على حدّ قوله: "أن يلتقي المثلان على الأحكام الّتي يكون عنها الإدغام، فيدغم الأوّل في الآخر، والأوّل من الحرفين في ذلك ضربين: ساكن ومتحرّك، فالمدغ م السّاكن الأصل كطاء قطَّعَ، وكاف سُكَّرَ الأوّلين، والمتحرّك نحو دَال شَدَّ، ولام معتلٌّ".[4] شدَّ أصلها شدَدَ، ومعتلٌّ أصلها مُعْتَلَلٌ.
- **إدغام المتقاربين** : ويقول فيه: " أن يلتقي المتقاربان على الأحكام الّتي يسوغ معها الإدغام ، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه. وذلك مثل ودٌّ في اللّغة التّميميّة، وامَّحَى، وامَّازَ، واَصَّبَرَ، واثَّاقَلَ، عنه "[5]. ودٌّ أصلها وَتَدٌ، وامَّحَى أصلها اِمْتَحَى، وامَّازَ أصلها امْتَازَ، واصَّبَرَ أصلها اصْتَبَرَ، واثَّاقَلَ أصلها اثتَاقَلَ.

---

[1] - الإدغام عند علماء العربيّة في ضوء البحث اللّغوي الحديث، عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، دط، 2000م، ص34 – 35.
[2] - الأصوات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، ص299.
[3] - الخصائص، ابن جنّي، ج2/ص139.
[4] - المصدر نفسه، ج2/ص140.
[5] - المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

ثمّ ذكر ابن جنّي طريقة الإدغام أو كيفيّته فقال: "أَلاَ ترى أنّك في قَطَّعَ و نحوه قد أخفيت السّاكن الأوّل في الثاني حتّى نَبَا اللّسان عنها نبوة واحدة، وزالت الواقفة الّتي تكون في الأوّل لو لم تدغمه في الآخر".[1]

حدّد الهدف من الإدغام بكونه وسيلة للتّخفيف والابتعاد عن الثّقل فيقول: "ألاَ تَرى أنَّك لو تكلّفت ترك إدغام الطّاء الأولى لتجشّمت لها وقفة عليها تمتاز من شدّة ممازجتها للثّانيّة بها كقولك قطْطَعَ وسُكْكَرْ".ويضيف "فإن أنت أزلت تلك الوقيفة والفترة على الأول وخلطته بالثاني فكان قربة منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه ".[2]

ثمّ تحدّث عن الأصل في الإدغام، وهو أن يكون الأول من المثلين متحرّكًا فيسكن ليدغم في الثاني، ويقول في هذا: "فإن كان الأوّل من المثلين متحرّكًا ثمّ أسكنته وأدغمته في الثاني، هفو أظهر أمرًا، وأوضح حكمًا، ألا ترى أنّك إنّما أسكنته لتخلطه بالثاني وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظه بلفظه بزوال الحركة الّتي كانت حاجزة بينه وبينه.

وأمَّا إن كانَا مختلفين ثمّ قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه، لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النّظير".[3]

ثمّ يشير ابن جنّي إلى أنّ هذا حديث الإدغام الأكبر. وقد سمّاه الإدغام الأكبر ليفرق بينه وبين الإدغام الأصغر، والّذي يعني المماثلة – كما سبق وذكرنا – .

وبالإضافة إلى حديثه عن الإدغام تحدّث ابن جنّي في مواطن أخرى عن فكّ الإدغام وعن امتناعه في بعض الصّيغ.

من عرضنا لظاهرة الإدغام عند ابن جنّي، يتّضح لنا أنّ ابن جنّي قد توصّل إلى أنّ الإدغام نوع من التّغيّرات الصّوتيّة الّتي تحدث في الكلمة العربيّة والّتي تهدف إلى دفع الثقل الّذي يكون عند اِلتقاء المتماثلين أو المتقاربين هذا الاِلتقاء الّذي يستوجب أو يستحسن الإدغام طلبًا للخفّة والانسجام الصّوتي.

---

[1] - الخصائص،ج2، الصّفحة نفسها.
[2] - المصدر نفسه،الصفحة نفسها.
[3] - المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

خلصنا في هذه الدراسة العلمية (الدّرس الصوتي عند ابن جني) إلى مجموعة من النتائج ، حصرناها في نقاط توّجنا بها ه ذا البحث ، وجعلناها خاتمة له ، لعلّها تكون بداية لبحوث أخرى.

ومن أهّم هذه النتـــــائـــج نذكر:

1- أنّ ابن جنّي قد فرّق بين الحرف والصوت، لكن ليس كتفريق المحدثين بينهما، ممّا جعله كثيرا ما يستعمل المصطلحين لمفهوم واحد. وقد تفطن لفكرة الفونيم ، وأدرك أهمية الفونيمات في تحديد الدلالة والمعاني ، وأدرك أن تغيير الفونيمات يؤدّي بالضرورة إلى تغير المعاني .

2- أنّ المقطع أيضا من المصطلحات و المفاهيم التي كان يفقهها ابن جنّي، وإن لم يذكرها، ولم يسجل لها، إلا أنّ له تعليلات كثيرة لصيغ مرفوضة أدخلها ضمن مسميات متعددة: كالإعلان، والإبدال، ومنع التقاء الساكنين، وغيرها. في حين أنّ الدرس الصوتي الحديث أكد رفضها لخروجها من النظام المقطعي العربي.

3- لقد أشار ابن الجني إلى النّبر في دراسته، وهذا عند حديثه عن حذف الصفة، وإن لم يصطلح على الظاهرة التي وصفها بمصطلح معيّن، إلا أن ما قاله ووصفه يدلّ دلالة واضحة على ما تسميه الدّراسات الحديثة بالنبر. أما التنغيم فقد أشار إليه أيضا دون أن يصطلح عليه بمصطلح معين، واكتفى بوصفه فقط.

4- تعدّ المماثلة من التغيرات الصوتية التي تحدث نتيجة تأثر صوت بآخر يجاوره ، وقد تفطن ابن جنّي إلى هذا النوع من التأثير ودرسه في كتابه الخصائص في باب (الإدغام الأصغر)، وله عدة تعليلات صوتية.

5- المخالفة عكس المماثلة، وهي ظاهرة هدفها زيادة مدى الخلاف بين الصوتين اللّذين أثّر أحدهما في الآخر، ومن الملاحظ أن ابن جني قد تعرض لهذا النوع من التغيرات الصوتية في كتابه الخصائص في باب (قلب اللّفظ بالصيغة والتلطّف لا بالإقدام والتعجرف) ، إلا أنه لم يعلل لها.

6- القلب المكاني من التغيرات الصوتية التي تحدث في الصيغ الصرفية وقد عالجها ابن جني في باب(الأصليين يتقاربان في التركيب بالتقديم والتأخير)، إلا أنّه اعتمد في تفسيرها على الجانب الصرفي، وأهمل الجانب الصوتي الذي له الحظ الوفير في تفسير هذه الظاهرة.

7- التوافق الحركي هو مماثلة تقع بين الصوائت دون الصوامت. وقد أشار إليه ابن جني في كتابه الخصائص وذكرنا بعض الأمثلة للتمثيل لا الحصر.

8- الإدغام من الظواهر اللّغوية التي حظيت بدراسات مستفيضة منذ بدايات الدراسات اللّغوية، ولابن جني دراسات جادّة لهذه الظاهرة، وله عليها تعليلات صوتية كثيرة، ويمكن القول أن لابن جني فضل السبق في تقديم تعليلات صوتية لهذه الظاهرة اللّغوية.

ومن النتائج التي توصّلنا إليها ونلّح عليها : ضرورة العودة والاهتمام بالتّراث اللغوي العربي ومحاولة استنطاقه، لمعرفة القضايا التّي توصّل إليها القدماء ومازالت لم تجد النور في الدّراسات الحديثة، أو لمعرفة القضايا الحديثة التي لها جذور في الدّراسات القديمة.

القرآن الكريم.

قـــائمة المصـــــادر و المراجـــع:

1. **إبراهيم أنيس** الأصواتاللغوية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط4، 1971م.
2. ـــــــــــ،في اللّهجات العربية،مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة،دط،دت.
3. **أحمد مختارعمر** ،دراسة الصوت اللّغوي،عالمالكتب،القاهرة مصر ،دط، 1418هـ / 1997م .
4. **ابن الأنباري**، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تح : ابراهيم السامرئي ، مكتبة المنار ، الزرقاء الأردن ، ط3 ، 1405هـ / 1985م .
5. **ابن جني عثمان أبو الفتح** ، الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، دار الكتب العلمية ، دط ، 1376هـ / 1957م .
6. ـــــــــــــــــــــــ، سر صناعة الإعراب ، تح : محمد حسين إسماعيل و أحمد رشدي ، شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1421هـ / 2000م .
7. **ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ)** ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تحـ : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت لبنان ، دط ، دت .
8. **ابن سينا** ، تحـ: محمد حسان الطيان و يحي مير علم ، رسالة أسباب حدوث الحروف ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، دط ، دت .

9. **ابن العماد شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت 1089هـ)**، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحـ: محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ، ط1 ، 1406هـ / 1986م .

10. **ابن منظور** ، لسان العرب ، تحـ: خالد رشيد قاضي ، دار الأبحاث للنشر الجزائر ، ط1 ، 2000م .

11. **ابن النديم** ، الفهرست ، تحـ: يؤسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1422هـ / 2002م .

12. **أبو تاكي سعود بن غازي** ، خصائص التأليف النحوي في القرن الرابع الهجري ، دار غريب ، القاهرة مصر ، ط1 ، 1425هـ / 2005م

13. **أبو عمرو الجاحظ** ، البيان و التبيين ، تحـ: عبد السلام هارون ، دط ، 1948م – 1950م .

14. **أبو منصور الثعالبي** ، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد ، دط ، دت .

15. **استيته سمير شريف**،اللّسانيات المجال و الوظيفة و المنهج،إربد الأردن ،ط 2 ، 1429هـ / 2008م .

16. **بروكلمان كارل** ، تاريخ الأدب العربي ، تر: عبد الحليم النجار ، دار المعارف، القاهرة مصر ، ط4 ، دت .

17. **البهنساوي حسام** ، الدراسات الصوتية عند القدماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2005م.

18. **بوخلخال عبد الله** ، الإدغام عند علماء العربية ،في ضوء البحث اللّغوي الحديث ، ديوان الطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، 2000م.

19. **تمام حسان** ، اللّغة بين العيارية و الوصفية ، عالم الكتب ، القاهرة مصر ، ط4 ، 2000م .

20. ـــــــــــــ، اللّغة العربية مبناها و معناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، دط ، 1994م .

21. ـــــــــــــ، مناهج البحث في اللّغة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، دط ، 1407هـ / 1986م .

22. **التوتنجي محمد و راجي الأسمر** ،المعجم المفصل في علوم اللّغة ، (الألسنيات)، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1421هـ / 2001م .

23. **حركات مصطفى** ،الصوتيات و الفونولوجيا ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ، ط1 ، 1418هـ / 1998م .

24. **الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت 626هـ)**، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تحـ : إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1993 م .

25. **دراقي زبير** ، محاضرات في اللسانيات التاريخية و العامة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ذط ، د ت .

26. **رمضان عبد الثواب**، المدخا إلى علم اللغة العام و مناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ن القاهرة مصر ، ط3 ، 1417هـ / 1997م .

27. **رمضان منيسي عبد الله** ، الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث ، دار النشر للجامعات ، القاهرة مصر ، ط1 ، 2006م .

28. **السعران محمد** ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت لبنان ، دط ، دت .

29. **السيوطي عبد الرحمان جلال الدين (ت 911هـ)** ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، بيروت لبنان ، ط2 ، 1399هـ / 1979م .

30. **شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي** ، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار صادر ، بيروت ، ط2 ، 1909م .

31. **صالح سليم عبد القادر الفاخري** ، الدلالة الصوتية في اللغة العربية ، المؤسسة الثقافية الجامعية ، الإسكندرية مصر ، دط ، 2007م .

32. **الصيغ عبد العزيز** ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، دط ، 1998م .

33. **الطنطاوي محمد** ، نشأة النحو و تاريخ أشهلر النحاة ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، ط2 ، دت .

34. **عبد الصبور شاهين** ، في علم اللغة العام ، جامعة حلب ، دط ، 1981م / 1982م .

35. **عبد القادر عبد الجليل** ،الأصوات اللغوية ، دار صفاء ، عمان ، ط 1 ، 1431هـ / 2010م .

36. **عبد المجيد مجاهد** ،علم اللسان العربي ، الشركة العربية المتحدة ، القاهرة مصر ، دط ، 2010م .

37. **عكاوي رحاب خضر** ، موسوعة عباقرة الإسلام في النحو و اللغة و الفقه ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1993م .

38. **علي حسن مزبان** ، علم الأصوات بين القدماء و المحدثين ، دار شموع الثقافة الزاوية ، ط1 ، 2003م .

39. **فاضل صالح السمرائي** ، ابن جني النحوي ، دار الندير ، 1389هـ / 1969م .

40. **فدوى محمد حسان** ، أثر الإنسجام الصوتي في البنية اللغوية في القرآن الكريم ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط1 ، 1432هـ / 2011م .

41. **كريم زكي حسام الدين** ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، دار الرشاد ، ط3 ، 1421هـ / 2001م .

42. **كمال بشر** ، علم الأصوات ، دار غريب ، القاهرة مصر ، دط ، 2000م .

43. **مجمع اللغة العربية** ،المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، 1425هـ / 2004م .

44. **مدكور عاطف** ، علم اللغة بين التراث و المعاصرة ن دار الثقافة ، القاهرة مصر ، دط ، 1987م .

45. **نادية رمضان النجار** ، اللغة و أنظمتها بين القدماء و المحدثين ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية مصر ، دط ، دت .

46. **نور الهدى لوشن** ، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، المكتبة الجامعية ، الأزاريطية الإسكندرية مصر ، دط ، 2000م.

فهرس المحتويات

مقدمة. .....أ
مدخل. ص2
الفصل الأول: ابن جني و كتابه الخصائص.
المبحث الأول:ترجمة حياة ابن جني.
أولاً:نسبه و مولده و صفاته و أولاده ص10
ثانيا:شيوخه ص11
ثالثاً:تلامذته ص12
رابعاً: شعره و نثره ص13
خامسا:مكانته العلمية ص14
سادساً: آثاره و مؤلّفاته ص15
سابعاً:وفاته ص17
المبحث الثاني: قراءة في كتاب الخصائص.
أولاً:عنوانه ص18
ثانيا:الهدف من تأليفه ص19
ثالثا:مباحثه ص20
رابعا: منهجية ابن جني في كتابه الخصائص.....ص21
المبحث الثالث: الصوت عند ابن جني.
أولاّ: تعريف الفونيم ص24
ثانياً:أنواع الفونيمات ص25
ثالثاً: بين الفو نيم و الآلفون والصوت و الحرف.....ص26
رابعاً: فكرة الصوت عند ابن جني ص29
المبحث الرابع: المقطع عند ابن جني .
أولاّ: تعريف المقطع و مكوناته ص34
ثانياًّ: أنواع المقاطع ص36
ثالثاًّ:خصائص النظام المقطعي العربي.....ص37
رابعاً: المقطع عند ابن جني ص38

الفصل الثاني: ظواهر صوتية في كتاب الخصائص.

المبحث الأول: النبر و التنغيم عند ابن جني.

I- مصطلح النبر.

أولاً: تعريف النبر ص42
ثانياً:درجاته ص43
ثالثا:وظائف النبر ص44
رابعاً: النبر في اللغة العربية ص44

II-مصطلح التنغيم.

أولاً:تعريف التنغيم ص48
ثانياً:درجاته ص49
ثالثاً: وظائف التنغيم و أهميته ص50
رابعاً: التنغيم عند ابن جني ص50

المبحث الثاني :المماثلة و المخالفة عند ابن جني.

I-المماثلة.

أولاً:تعريف المماثلة ص53
ثالثاً:أنواع المماثلة ص53
رابعاً: المماثلة عند ابن جني ص54

II-المخالفة.

أولاً: تعريف المخالفة ص56
ثانياً:أنواع المخالفة ص57
ثالثاً: المخالفة عند ابن جني ص57

المبحث الثاني: القلب المكاني و التوافق الحركي.

I-القلب المكاني.

أولاً:تعريفه ص59
ثانياً: أنواع القلب المكاني ص59
ثالثا :القلب المكاني عند ابن جني ص60

II-التوافق الحركي.

أولاً:تعريفه ص64
ثانياً: التوافق الحركي عند ابن جني ص62

المبحث الرابع: الإدغام عند ابن جني من خلال كتابه الخصائص.
أولاً:تعريفه ص64
ثانياً: الإدغام عند ابن جني ص64
خـــــــاتمة ص68
قائمـــــــة المصادر و المراجع ص70
فهرس المحتويات ص76

ملخّص البحث :

تتناول هذه الدّراسة التي بين أيدينا المستوى الصّوتي للّغة العربية عند "ابن جنّي" من خلال كتابه الخصائص ، والذي يعدّ أحد علماء القرن الرابع هجري الذين يرجع لهم الفضل في وضع كثير من قواعد اللّغة العربية ، وفي جل مستوياتها الصّوتي والصّرفي والنّحوي والدّلالي.

ويعدّ ابن جنّي رائد في مجال علم الأصوات قديما وحديثا ، فقد تمكّن بذكائه وبصيرته النّافذة من دراسة الأصوات وتحديد مخارجها وصفاتها دراسة وافية ودقيقة ، أذهلت عقول المتقدّمين والمتأخّرين ، وهذا على الرّغم من غياب الوسائل الحديثة المساعدة على دراسة الأصوات دراسة علمية دقيقة.

الكلمات المفتاحية : ابن جنّي ، علم الأصوات ، الخصائص.

Résumé **:**

L'étude dont nous disposons dénote le niveau phonétique appréciable de la langue arabe, mis en évidence par l'imminent savant Ibn Djeni qui fut l'une des sommités du IVème siècle, à qui revient le mérite d'avoir instaurer un ensemble de règles de phonétique, de grammaire, de conjugaison, et de sémantique pour la langue arabe.

Ibn Djeni a été depuis longtemps, et demeure leader dans le domaine de la phonétique. Il a pu, grâce à son intelligence et à sa vision, réaliser une étude complète et précise sur la phonétique, et la détermination de ses caractéristique et ses aboutissements, qui a impressionné les esprits les plus et les moins évolués, et ce malgré l'absence de moyens modernes permettant une telle étude.

mots clés : Ibn Djeni , phonétique , El khassaisse.

Summary **:**

The study indicates that we have a significant level of phonetic Arabic , highlighted by the scholar Ibn Djeni who was one of the luminaries of the fourth century , who has the merit of establishing a set of rules phonetics, grammar , grammar and semantics for the Arabic language.

Ibn Djeni has long been , and remains a leader in the field of phonetics. He was able , thanks to his intelligence and vision , a full study and precise phonetics, and the determination of its characteristic and its outcomes , that impressed the most and least advanced minds , despite the lack of modern means such a study.

Key words: Ibn Djeni , phonetics, El khassaisse.